الجواب الصحيح لمن بدل دين

المسيح

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

دار الإيمان

الإسكندرية

الجــواب الصحيــح
لمن بدل دين المسيــح

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت: ٥٤٥٢٧٦٩

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط التوحيدي
فاكس: ٥٤٥٢٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٧٨٤٩
الترقيم الدولي
977-331-395-6

هذا الكتاب جزء من كتاب
«دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد»

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

أما بعد:

فقد صدرت طبعات عديدة من كتاب (دعوة أهل الكتاب لدين رب العباد) - بفضل الله - وانتُفع به، وطُلبت ترجمته بأكثر من لغة، وتم عرضه على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وأُجيز، ثُمَّ رُؤي أن يُطرح في هيئة أجزاء صغيرة؛ حتى يكون في متناول اليد.

وهذه الطبعة تصدر في وقت تطاول فيه بابا الفاتيكان الكاثوليكي بروما على شخص رسول الله ﷺ، حيث نقل مؤيدًا قول الإمبراطور البيزنطي للأديب الفارسي المسلم أن النَّبيّ ﷺ ما جاء إلاَّ بالشرّ والسوء بالنسبة للإنسانية، وأن دعوته ما انتشرت إلاَّ بحدّ السيف - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون

إلاَّ كذبًا - بل جاء بالحق وصدّق المرسلين، ولا تُعرف نبوة نبي إلاَّ من طريقه صلوات الله وسلامه عليه.

والبشارة به ﷺ موجودة في الكتب السابقة، ما لا يقل عن مائة وخمسين بشارة، مبعثه ومهجره وهيئته ودعوته... والكفر به كُفرٌ بالله وبجميع الأنبياء والمرسلين، هو سيد الأولين والآخرين والمبعوث رحمة للعالمين، أول شافع وأول مشفع، صاحب لواء الحمد، آدم فمن بعده تحت لوائه، ولو كان موسى وعيسى أحياء زمن بعثته ﷺ لكان لزامًا عليهما أن يتابعاه.

هو أول من يدخل الجنة، فيقول خازنها مَنْ؟ فيقول: محمد. فيقول: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك، بُعث ﷺ بقضيب الأدب حرزًا للأميين، فتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، زكَّى لسانه فقال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③﴾ (النجم: ٣)، وزكَّى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰﴾ (النجم: ١٧)، وزكى معلمه فقال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾

(النجم:٥)، وزكّاه كله فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④﴾ (القلم:٤). هدانا الله بنبيه محمد ﷺ، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، وآتانا ببركة رسالته ويُمن سفارته خير الدنيا والآخرة، وكان من ربه بالمنزلة العليا فلا يُذكر اسم الله إلا ويُذكر النّبيّ ﷺ معه.

وأدنى ما له ﷺ من الحق علينا، بل هو ما أوجب الله من تعزيره ونصره بكل طريق، وإيثاره بالنفس والمال في كل موطن وحفظه وحمايته من كل مؤذٍ، وإن كان الله قد أغنى رسوله عن نصر الخلق، ولكنَ ليبلو بعضكم ببعض، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب.

وقد ذكر ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول» أن من سبّ النَّبيّ ﷺ من مسلم أو كافر فإنه يجب قتله من مسلم أو كافر، وهذا المذهب عليه عامة أهل العلم، فإن كان ذمياً تعيَّنَ قتله، فلا يجوز المن عليه ولا مفاداته، فإن وصل أمره إلى الحاكم وتاب السَّاب أقام

الحاكم الحدّ عليه، وللنّبيّ ﷺ أن يعفو في حقه، وليس للأمة أن تصفح عمن سبّ نبيّها صلوات الله وسلامه عليه، وأن الساب إن كان مسلمًا فإنه يُكفّر ويُقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم، والكتاب يقع في نحو من ستمائة صفحة من القطع الكبير.

لقد ثارت ثائرة المسلمين هنا وهناك بسبب إساءة الصحيفة الدانماركية من قبل ودُعي رئيس الوزراء الدانماركي إلى الاعتذار، ولم يعتذر وأصرّ هو وملكة الدانمارك على أنها مسألة حريات، ودُعي البابا للاعتذار، وخرج بدوره في بيان دبلوماسي يتعجب لموقف المسلمين من كلمة نقلها عن الإمبراطور البيزنطي.

وهكذا يتمادى الغرب الصليبي في بذاءته وسفهه، وقد أغراه ضعف هذه الأمة وانحرافها عن دينها، فانتقل من حروب الإبادة التي لا هوادة فيها للمسلمين في أفغانستان والعراق وفلسطين... ومن قبل في البوسنة

والهرسك، حروب صليبية - كما وصفها الرئيس الأمريكي بوش - طالت الشيوخ الرُكّع والبهائم الرُتع والأطفال الرُضع، انتهكوا أعراض المسلمات وشردوا ملايين المسلمين في بقاع الأرض، فعلوا ذلك تحت سمع وبصر الأمم المتحدة - ربيبتهم والمتواطئة معهم - فعلوا ذلك وهم ينعتون الأمة المسلمة بنعوت التطرف والإرهاب، ويتطاولون على رسول الله ﷺ - رمتني بدائها وانسلت - .

وإذا كان حاضرهم شاهدًا على دمويتهم وإجرامهم، فماضيهم لا يقل شرًا وسوءًا، فما بين الحروب الصليبية ومساعدتهم التتار ومحاكم التفتيش، لقد أبادوا ما لا يقل عن ثلاثة ملايين مسلم في الأندلس وحدها، حاضرهم وماضيهم لا يعرف السماحة ولا السلام، وأقوالهم وأفعالهم تنضح بالسم الزُعاف لهذه الأمة، خذ وصفهم من خالقهم، ولا ينبئك مثل خبير ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ (آل عمران: ١١٨)، ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا

النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: ١٢٠)، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة: ١٠).

وهم في انطلاقهم لإبادة المسلمين وذبح أطفالهم يصدرون عن عقيدة؛ ففي أسفار التوراة التي يتداولها اليهود تقرير شريعة الحرب والقتال في أبشع صورة من صور التخريب والتدمير والإهلاك والسبي؛ فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح العشرين منه عدد ١٠ وما بعده ما يأتي نصه: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفُتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا، فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا، التي

ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبًا، فلا تبقِ منها نسمة ما، بل تحرمها تحريمًا - الحثيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليوسيين، كما أمرك الرب إلهك».

وفي إنجيل متى المتداول بأيدي النصارى في الإصحاح العاشر عدد ٢٤ وما بعده يقول: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا، بل سيفًا، فإنني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حماتها، وأعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني، فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني، فلا يستحقني، ومن لا يأخذ صليبه، ويتبعني فلا يستحقني، ومن وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها».

هذا شأن من كتبوا الكتاب ثم قالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ولم يكن فعل الكاثوليك بالبروتستانت وتنكيلهم بهم بأقل من فعلهم بالمسلمين،

وطوائف النصارى يُكفّر بعضهم بعضًا، وما اجتمعوا مجتمعًا إلا وتلاعنوا فيه، فكلهم لاعن وكلهم ملعون، ولو اجتمع عشرة منهم لقاموا على أحد عشر قولاً.

وإذا كانوا قد نسبوا لله الصاحبة والولد وسبوا الخالق جل وعلا، فهل يُستبعد منهم سبّ النّبيّ ﷺ وانتقاصه، وهم مع تأليههم لعيسى عليه السلام يزعمون أنه قد مات وأن اليهود ألبسوه إكليل الغار وصفعوه على قفاه، وقالوا له يا ابن كذا.. عقائد خربة، وكل إناء بما فيه ينضح.

وهذه العقيدة مسروقة ومغشوشة من عقيدة الهنود في بوذا وكرشته، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ (التوبة: ٣٠، ٣١).

لم ينعم النصارى بالطمأنينة والرحمة تحت حكم

بني ملتهم من الرومـان ولـم يتذوقوا طعم ذلك إلاّ تحت حكم المسلمين، بل كانـت المرأة من أهل الشام لا تأمن على نفسـها في وجود أبيـها في الوقت الذي تأمن فـيه بحضرة صحابة رسول الله ﷺ .

وقد أظهر بابا رومـا محبة ومودة لـليهود في نفس البيـان الذي ألقاه في ألمانيـا، وهذا لا يستـغرب فعـقد الإخاء وثيق بين اليهود والنصـارى، وهو إخاء عقائدي في المقـام الأول، قـال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١).

وقد استـطاع اليهود في الآونة الأخـيرة استـصدار وثيقة من الفاتيكان تبرئهم من دم المسيح، فبطلت بذلك عـقـيدة الـصلب والفـداء عند النصـارى، وهي صُلب العقـيدة النصرانيـة، ونحن بدورنا نعتقـد أن المسيح في السمـاء وينزل في آخر الزمان، يكسـر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجـزيـة، ويحكم بشـريعـة الإسـلام،

ويموت بالمدينة، ويُصلي عليه المسلمون، ويُدفن مع رسول الله ﷺ ، فلم يقتله اليهود، ولم يمت بعد، بل أُلقي شبهه على يهوذا الخائن ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ (النساء: ١٥٧).

وتواطؤ الغرب الصليبي اليوم مع اليهود على حساب المسلمين في فلسطين وتواطؤهم مع الملاحدة الشيوعيين لإبادة المسلمين في الجمهوريات الإسلامية كالشيشان أمرٌ لا يخفى على أحد، ولعل البابا في بيانه السفيه يُنشط ذاكرتنا؛ حتى لا ننسى عقيدتهم وسلوكهم تجاهنا عبر العصور وكر الدهور، وإلاّ فهم يعرفون النبيّ ﷺ كما يعرفون أبناءهم، مبعثه ومهجره ودعوته، والواجب عليهم أن يدخلوا في السلم كافة، وأن يدينوا بدينه ﷺ ؛ ففي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار**» (رواه مسلم).

إن بابا روما يعلم كيف انتشر الإسلام في أوروبا

ومصر وأفريقيا وجنوب شرق آسيا، وكيف عمّت دعوته المشارق والمغارب، كما يعلم أيضًا ما صنعوه هم مع المسلمين في البوسنة والهرسك وأفغانستان والعراق..

وهذا تاريخ لن يُنسى وحقوق لن تسقط بالتقادم، وليس عندنا ما نتوارى به خجلاً، فكم من بلد فتحت بالقرآن وكم من بلد فتحت بالسيف والسنان ولا حجر على سعة رحمة الله، والفارق كبير بين من يجاهد في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله في الأرض وتعبيد الدنيا بدين ربها، وبين من يقاتل في سبيل الطاغوت، أو لنشر ديمقراطية أو نصرانية، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ (التوبة: ٣٦)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (الأنفال: ٣٩)، وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ١٩٠)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾ (التوبة: ١٢٣).

نصوص كثيـرة تدل على جهاد الدفع والطلب، أي دفع الكفار عن ديار المسلمين وطلبـهم في عقر ديارهم، قـال ابن تيـميـة في «الجـواب الصـحيح لمن بدل دين المسـيح»: «. . فإذا وجب علينا جـهـاد الكفار بالسـيف ابتداءً ودفـعًا، فلأن يجب علـينا بيان الإسلام وإعـلامه ابتداءً ودفعًا لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى».

لا يُكتـفى في مـواجهـة هذه البـذاءات الصليـبيـة بالشجب والتنديد واستجداء الإعتذار وطلب المقاطعة. . فقد فُتـحت عمورية بسبب امرأة مسلمة انتُـهك عرضها فاستـصـرخت، ولما علم المعتـصـم ركب فرسـه وانطلق يعدو والجيش على إثره، فتح عمورية ثم قال: أين التي تستـصرخ. وقال لإمـبراطور الروم جئـتك بجيش أوله عندك وآخره عندي.

وقال هارون الرشيد مخـاطبا ملك الروم: أما بعد، فمن هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، فإن الأمر ما ترى لا ما تسمع. وكان نقفور قد همّ بمنع الجزية وإيذاء من أسلم عنده.

ولم يقعد صلاح الدين الأيوبي بعد موقعة حطين حتى أتى بالأمير الذي سبّ رسول الله ﷺ وقطع رقبته.

ومن قبل بعثَ رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم يقول له: «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين**» أي الفلاحين الأكارين، وخيّره بين أمور ثلاثة: إما الإسلام أو الجزية عن يد وهو صاغر أو القتال.

وقد لا نستطيع هذا ولا ذاك، والواجبات تسقط بالعذر والعجز، وعدم الاستطاعة، وشرع الله مصلحة كله، وليس المقدور عليه كالمعجوز عنه، ولكن ليس لنا أن نستمرئ حالة الضعف والاستخزاء، فالواجب أن نأخذ بأسباب القوة وأن نعود لتطبيق شريعة ربنا ونصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة سوآء كنا حكامًا أو محكومين، فلا يفلّ الحديد إلاّ الحديد.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة: ٢٥١)، فإن أبينا ذلك فلنعلم أن لله جنود

السموات والأرض، ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾ ﴾ (محمد: ٣٨)، ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٨٩). ولله أوس آخرون وخزرج يثأرون لنبيهم، وينتقمون لدينهم.

ونحن نبشر بابا الفاتيكان بفتح روما عاصمة إيطاليا اليوم على أيدي المسلمين؛ فقد سُئل النّبيّ ﷺ: أقسطنطينية تُفتح أولاً أو رومية ؟ قال: «القسطنطينية تُفتح أولاً» وقد تمّ الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني بعد ثمانمائة سنة من إخبار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، وستُفتح رومية وهي روما بإذن الله تعالى، ولابد، ولتعلمن نبأه بعد حين، والله غالب على أمره ومُتمّ نوره ولو كره المشركون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)

هذا عنوان الكتاب[١] الذي ألفه شيخ الإسلام (ابن تيمية)، والكتاب يقع في أربعة أجزاء ويزيد على الألف ومائتي صفحة بقليل، وهو يدل على غزارة علم ابن تيمية، فما دخل في علم إلا وفاق أهله فيه، وكان سبب تأليف هذا الكتاب أن شيخ الإسلام قرأ رسالة جاءت من قبرص مضافة إلى (بولص الراهب) أسقف صيدا الأنطاكي، وادعى فيها أنه اجتمع بأجلاء تلك النواحي التي ارتحل إليها وناظر أفاضلهم وعلماءهم، وقد كان اسم الرسالة: (المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح، والرأي المستقيم).

والقارئ لهذا الكتاب يلحظ كيف كان ابن تيمية على علم بالنصرانية أكثر من معرفة أهلها بها، وكان سنده في الجواب: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما أوتيه من قوة

(١) قدم الكتاب: على السيد صبيح بمقدمة طيبة نقلناها بتصرف.

الحجاج والمنطق، وكان ذلك هو المنهاج الذي سار عليه في جميع فصول الكتاب، غير أنه حينما أراد أن يثبت وقوع التبديل والتغيير في عقائد النصارى واليهود استدل ببعض نصوص الكتب السماوية، والنبوات السابقة.

وكذلك فعل حينما رد عليهم قولهم: إن النبوات، والكتب السابقة، لم تبشر بنبوة النبي ﷺ، وقد وَفى شيخ الإسلام الكلام حقه إذ كان بإزاء الرد على أناس عرفوا بالمكر، والخيانة لدينهم، والإمام يبدأ الفصل ـ في غالبية الكتاب ـ بالقول المخالف، ثم يعقبه بالرد عليه وهو ـ في معظم الفصول ـ يكثر من الاستطراد الهادف، لإبطال ما ألصق بالدين من المبتدعات، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على غزارة علمه، وفضله وأدبه.

■ والكتاب يتضمن أربعة عناصر مهمة:

العنصر الأول ـ الرد على ما جاء في (الرسالة القبرصية)، ومضمونها: ستة دعاوى، وسنتعرض لها ـ بإذن الله ـ بشيء من الإجمال، والاختصار.

العنصر الثاني - تفسير النصوص القرآنية والنبوية التي استدل بها في رده عليهم.

العنصر الثالث - تصحيح ما وقع في تفسير بعض النصوص الدينية في الإنجيل والتوراة من أخطاء.

العنصر الرابع - دراسة مقارنة للنبوات الثلاث: الإسلام، والنصرانية، واليهودية.

وقد قدم شيخ الإسلام للرد على دعاوى (بولص الراهب) بقوله: «ونحن - ولله الحمد والمنة - نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن، أو من الكتب المتقدمة على القرآن أو عقلية، لا حجة لهم في شيء منها، بل الكتب كلها مع القرآن، والعقل حجة عليهم، لا لهم، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء، ومن المعقول - هو نفسه - حجة عليهم، ويظهر منه فساد قولهم مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية، والموازين التي هي مقاييس عقلية».

وقد رد الإمام على هذه الدعاوى الستة حسب ترتيبها في الرسالة النصرانية.

الدعوى الأولى والرد عليها:

ذكر بولص الراهب أن محمداً ﷺ لم يبعث إليهم ـ أي النصارى ـ بل بعث إلى أهل الجاهلية من العرب، وأن القرآن فيه ما يدل على ذلك وكذلك العقل.

فرد شيخ الإسلام على دعواه بقوله: «إن كل من ادعى الرسالة لابد أن تنبني دعواه على أصلين:

احدهما ـ أن تعرف هل قال: إنه رسول الله إلى جميع الناس؟، أو قال: إنه لم يرسل إلا إلى طائفة معينة لا إلى غيرها؟

والثاني ـ أن نعرف هل هو صادق أم كاذب؟

اما الأصل الأول ـ فالرسول ﷺ أعلن أنه رسول إلى الناس كافة، ولا ينافي ذلك أنه من أصل عربي، وأن رسالته جاءت للعرب خاصة، وللناس كافة عامة، إذا عرف هذا فهؤلاء القوم في هذا المقام ادَّعوا أن

محمدًا ﷺ لم يُرسل إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، فهذه الدعوى على وجهين:

١ ـ إما أن يقولوا: إنه بنفسه لم يدَّعِ أنه أرسل إليهم، ولكن أمته ادَّعوا له ذلك.

٢ ـ وإما أن يقولوا: إنه ادَّعى أنه أرسل إليهم، وهو كاذب في هذه الدعوى، وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول، وفي آخره قد يقال: إنهم قد أشاروا إلى الوجه الثاني يعني ما جاء في الرسالة النصرانية على لسان (بولص) الراهب، لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى العرب، وإنما أنكروا رسالته إليهم، أما رسالته إلى العرب، فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه، وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي برسالته إلى العرب، بل صدقوا بما وافق قولهم، وكذبوا بما خالف قولهم، ونحن نبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء مما جاء به النبي ﷺ، ونبين أنه لا يصح احتجاجهم بشيء من القرآن على صحة

دينهم بوجه من الوجوه، ونبين أن القرآن لا حجة فيه لهم، ولا فيه تناقض، وكذلك كتب الأنبياء المتقدمين التي يحتجون بها هي حجة عليهم، ليس في شيء منها لهم حجة، ولو لم يُبْعَثْ محمد ﷺ، فكيف والكتاب الذي جاء به محمد ﷺ موافق لسائر كلام الأنبياء عليهم السلام في إبطال دينهم وقولهم: في التثليث، والاتحاد، وغير ذلك من العقل الصريح؟!

فهم يحتجون في كتابهم هذا ـ أي رسالتهم ـ بالقرآن، وبما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ مع العقل، ولا حجة لهم فيه، وهذا بخلاف المسلمين، فإنه يصح احتجاجهم على أهل الكتاب من اليهود والنصارى بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ، وذلك أن المسلمين مقرون إيمانهم بنبوة موسى، وعيسى، وداود، وسليمان، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله الله، وهذا أصل دين المسلمين.

ثم قال: وحينئذ فهؤلاء إن أقروا برسالة محمد ﷺ، وأنه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب، والحكمة، وجب عليهم الإيمان بكل ما ثبت عنه: من الكتاب، والحكمة، كما يجب الإيمان بكل ما جاءت به الرسل.

ثم رد على من قال من أهل الكتاب: «إنه (رسول غَضب) أرسله الله إرسالاً: كونيًا، لا دينيًا، لينتقم به منهم، كما أرسل بختنصر وسنجاريب على بني إسرائيل، وكما أرسل جنكيس خان وغيره، فقال: «إن هؤلاء الملوك لم يقل أحد منهم: إن الله أنزل عليه كتابًا، ولا هذا الكلام الذي أبلغه إليكم هو كلام الله، ولا أن الله أمركم أن تصدقوني فيما أخبرتكم به، وتطيعوني فيما أمرتكم به، ومن لم يصدقني باطنًا وظاهرًا، فإن الله يعذبه في الدنيا والآخرة، بل هؤلاء أرسلهم إرسالاً كونيًا قدَّره وقضاه، كما يرسل الريح بالعذاب، وكما يرسل الشياطين، وفرق بين الإرسال الكوني، والإرسال الديني، فالإرسال الديني هو الإرسال الذي أوجب الله به طاعة من أرسله».

الدعوى الثانية والرد عليها:

ذكروا أن محمدًا ﷺ أثنى في القرآن على دينهم ـ أي النصرانية ـ الذي هم عليه، ومدحه بما أوجبت لهم أن يثبتوا عليه.

فأجاب بقوله: قالوا إن محمدًا ﷺ أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ، وهي أعظم كذبًا عليه من التي قبلها، فكيف يثني عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه، ويأمر بجهادهم وقتالهم، ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم، ويصف من لم ير طاعته في قتالهم بالنفاق، ويذكر أنه يدخل جهنم».

قال: «وأما ثناء الله ورسوله على المسيح، وأمه، وعلى من اتبعه، وكان على دينه الذي لم يُبدل فهذا حق، ولا ينافي وجوب اتباع محمد ﷺ على من بُعث إليه، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تُبَدَّلْ، وأن محمدًا أثنى على كل من اتبعها.

وقال ـ مع ذلك ـ: إن الله أرسلني إليكم، لم يكن

متناقضًا، وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذبوه، فكيف وهو إنما مدح من اتبع دينًا لم يبدله؟

وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم، بل ذمهم، وقد قدمنا أن النصارى كفروا ، كما كفرت اليهود، كفروا بتبديلهم ما في الكتاب الأول، وكفروا بتكذيبهم بالكتاب الثاني.

وأما من لم يبدل الكتاب، أو أدرك محمدًا فآمن به، فهؤلاء مؤمنون، ومما يبين ذلك أن تعظيم المسيح للتوراة، واتباعه لها، وعمله بشرائعها أعظم من تعظيم محمد ﷺ للإنجيل، ومع هذا، فلم يكن ذلك مسقطًا عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح، فكيف يكون تعظيم محمد ﷺ للإنجيل مسقطًا عن النصارى وجوب اتباعه؟!

وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء

والمرسلين، وبجميع ما أنزل الله من الكتب.

فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل: «إبراهيم، ولوط، وموسى، وداود، وسليمان، ويونس، وعيسى، فهو كافر عند جميع المسلمين، حكمه حكم الكفار»، ثم قال: «وإن أرادوا بتصديقه كتبهم: أنه صدق ما هم عليه من العقائد، والشرائع التي ابتدعوها بغير إذن من الله، وخالفوا بها ما تقدم من شرائع المسلمين، أو خالفوا بها الشرع الذي بعث به، مثل القول بالتثليث والأقانيم، والقول بالحلول، والاتحاد بين اللاهوت والناسوت، وقولهم: إن المسيح هو الله وابن الله، وما هم عايه من إنكار ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله، واليوم الآخر، ومن تحليل ما حرمه الله ورسله: كالخنزير وغيره، فقد كذبوا».

الدعوى الثالثة وردها:

قالوا: «إن كتب الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل، وغير ذلك من الصحف والنبوات تشهد لما

عليه دينهم: من الأقانيم، والتثليث، والاتحاد، وغير ذلك وأنه يجب التمسك به. إذا لا يعارضه شرع، ولا يدفعه عقل».

فرد ابن تيمية قائلاً: «وإن احتج بشيء من المنقول عن غيره - أي غير رسول الإسلام ﷺ - ومن الأنبياء عليهم السلام، طولب بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد ﷺ، وإلا فتقدير أن ينقل عن اثنين ادعيا النبوة، وأتيا بالآيات التي تثبت بها النبوات خبران متناقضان، لا يجوز تصديق هذا، وتكذيب ذاك إن لم يتبين ما يدل على صدق هذا وكذب هذا، وكذلك إذا عورض أحدهما بجنس ما يعارض الآخر، وهذا لا يرد على المسلمين إذا ردوا ما يحتج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الأنبياء مخالفًا لخبر محمد ﷺ، فإن المسلمين لا يطعنون في نبوة أحد من الأنبياء المعروفين وإنما يطعنون في أنهم أخبروا بما يخالف خبر محمد ﷺ، فإن ذلك لا يثبت، أي لم يثبت اللفظ والترجمة، وتفسير

اللفظ، وهذه المقـدمات تمتنع أن تقوم علـى شيء يخالف خبر محمد ﷺ لا جملةً ولا تفصيلاً.

فأهل الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات:

إحداهما ـ تقدير أن أولئك صادقون ومحمد ﷺ كاذب.

والثانية ـ ثبوت ما أتوا به لفظًا.

والثالثة ـ معرفة المراد باللفظ: ترجمةً، وتفسيرًا.

وإن قال الكتـابي للمسلم: «أنت توافـقني على نبوة هؤلاء المتقدمين».

أجابه المسلم بوجوه: منها أن يقول: إني لم أوافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بنبوة محمد ﷺ، بل دين المسلمين كلهم أنه من آمن ببعض الأنبياء، وكفر ببعض، فهو كافر، فكيف بمن كفر بمن هو عند المسلمين أفضل الأنبياء وخاتمهم؟!

بل قد يقـول له أكثر المسلمين: نحـن لم نعلم نبوة أولئك إلا بإخبار محمـد ﷺ أنهم أنبياء، فلو قدحنا في الأصل الذي قـد علمنـا به نبـوتهم لزم القـدح في

نبوتهم، والفرع ـ إذا قدح في أصله ـ دل على فساده في نفسه، سواء قدر أصله صحيحًا أو فاسدًا، فإنه إن كان أصله فاسدًا فسد هو، وإن كان أصله صحيحًا ـ وهو يناقضه ـ بطل هو، فهذا إذا ناقض أصله باطل على كل تقدير، وكذلك إذا قال له الكتابي: قد اتفقنا على تصديق موسى والتوراة، أو المسيح والإنجيل. قال له المسلم: إنما أوافقك على تصديق موسى وعيسى اللذين بشرا بمحمد ﷺ، كما أخبرنا به محمد ﷺ.

ثم ذكر شيخ الإسلام ما وقع في الكتب السابقة من تبديل في بعض ألفاظها، وأنه لا يُعلم أن ألفاظهما منزلةٌ من عند الله، وبالتالي فلا يجوز أن يحتج بما فيها من الألفاظ في معارضة ما عُلم نبوته، وأن هذه التوراة والإنجيل الموجودين اليوم بين اليهود والنصارى لم يتواترا عن موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ.

أما التوراة فإن نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولاً، وأجلى منه بنو إسرائيل، ثم ذكروا أن الذي

أملاها عليهم بعد ذلـك شخص واحد يقال له: عـارر، وزعموا أنه نبي.

وأمـا الإنجيـل الذي بأيـدي المسـيحيين، فـإنهم معترفـون بأنه لـم يكتبه المسـيح عليه السلام، ولا أملاه على من كتـبه، وإنما أملاه بعد رفع المسـيح «متى» و«يوحنا» وكانا قد صـحبا المسيح، ولم يحفظه خلق كثـير يبلغون حد التـواتر، و«مرقص» و«لوقـا» وهما لم يريا المـسيح عليه السلام، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعـض ما قاله المسيح، وبعض أخباره، وأنهم لم يسـتوعبوا ذكر أقـواله وأفعاله، ونقل اثنين أو ثلاثة يجوز عليهم الغلط لاسيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب!

الدعوى الرابعة والرد عليها:

أن مـا هم عليـه ثابت بالعـقل والشرع مـتـفق مع الأصول، وأنه إذا كـان الكتـاب الـمكتوب بلسـان واحد ـ أي القرآن ـ لا يمكن تبديل ولا تغيير حرف منه، فكيف يمكن تغيير كتبهم التي كتبت باثنين وسبعين لسانًا؟

والجواب أن يقال: أولاً: هذا الكلام منهم يدل على غاية جهلهم بما يقوله المسلمون في كتبهم، وتبين أنهم لفرط جهلهم يظنون أن المسلمين يقولون مقالة لا تخضع للعقل والمنطق، وأن ما يقولونه لا يخفى فساده على من له أدنى عقل ومعرفة.

والجواب على ما ادعوه من وجوه:

إحداها ـ أن المسلمين لم يدعوا أن هذه الكتب حرفت بعد انتشارها، وكثرة النسخ بها، ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير في كثير من معانيها وكثير من أحكامها، وهذا تسلمه النصارى جميعهم في التوراة، والتنبؤات المتقدمة، فإنهم يسلمون أن اليهود بدلوا كثيراً من معانيها وأحكامها، ومما تسلمه النصارى في فرقهم أن كل فرقة تخالف الأخرى فيما تفسر به الكتب المتقدمة، ومما تسلمه اليهود أنهم متفقون على أن النصارى تفسر التوراة والنبوات المتقدمة على الإنجيل بما يخالف معانيها، وأنها بدلت أحكام التوراة.

الثاني ـ أن قياسهم كتبهم على القرآن مع أنه لم تسمع دعوى التبديل فيه قياس باطل في معناه وفي لفظه.

الثالث ـ أن القرآن قد ثبت بالنقل المتواتر المعلوم بالضرورة للموافق والمخالف أن محمداً ﷺ كان يقول: إنه كلام الله، لا كلامه، وأنه مبلغ له عن الله. وكان يفرق بين القرآن، وبين ما يتكلم به من السنة، وأما قولهم: إنها ـ أي الأناجيل ـ مكتوبة باثنين وسبعين لسانًا، فمعلوم باتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلا العبرية، فالكلام المنقول عنه في الأناجيل إنما تكلم به عبريًا، ثم ترجم من تلك اللغة إلى غيرها، والترجمة يقع فيها الغلط كثيرًا، كما وجدنا في زمننا من يترجم التوراة من العبرية إلى العربية، ويظهر في الترجمة من الغلط ما يشهد به الحذاق والصادقون ممن يعرف اللغتين.

ثم انتقل إلى دعوى التثليث فقال:

قالوا: «وكذلك شهد أشعيا» بتحقق الثالوث بوحدانية جوهره، وذلك بقوله: (رب القوات) وبقوله:

(رب السموات والأرض)، ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرءون هذه النبوات، ولا يعرفون لها تأويلاً، وهم مقرون بذلك، ولا ينكرون كلمة واحدة، وإنما قلوبهم مغلوقة عن فهمه لقساوتها».

كما أنهم إذا اجتمعوا في الكنيسة يقف «الحران» ويقول كلامًا عبرانيًا، ترجمته: نقدسك، ونعظمك، ونثلث لك تقديسًا مثلثًا كالمكتوب على لسان نبيك، فيصيح الجميع: قدوس، قدوس، قدوس، رب القوات، رب السموات والأرض، فما أوضح إقرارهم بالثالوث، وأشد كفرهم بمعناه!!.

ثم أوضح شيخ الإسلام معنى التثليث الذي جاء في التوراة فقال: «وأما قولهم نقدسك، ونعظمك، ونثلث لك تقديسًا مثلثًا، كالمكتوب على لسان نبيك أشعيا، وقولهم: قدوس، قدوس، قدوس، رب القوات، ورب السموات والأرض. فيقال: هذا الكلام صريح في أن المثلث، هو نفس التقديس، لا نفس الإله المقدس،

وكذلك قولهم: قدوس، قدوس، قدوس، قدسوه ثلاث مرات، فإنه قال: نقدسك، ونثلث لك تقديسًا مثلثًا، فنصب التثليث على المصدر، الذي ينصب بفضل التقديس، فقال: نقدسك تقديسًا مثلثًا، فنصب التقديس على المصدر كما تقول: سبحتك تسبيحًا مثلثًا، أي: سبحتك ثلاث مرات، وقال: نثلث لك، أي نثلث تقديسًا لك، لم يقل: «أنت» ثلاثة بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث، وهم يثلثون له، وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات، ولا يسبحون ثلاثة آلهة، ولا ثلاثة أقانيم.

ثم تتبع تبريرهم التثليث فقال: «قالوا: وقد علمنا أنه لا يلزمنا إذا قلنا هذا عبادة ثلاثة آلهة، بل إله واحد، كما لا يلزمنا إذا قلنا: «الإنسان، ونطقه، وروحه» ثلاثة أناس، بل إنسان واحد، ولا إذا قلنا: «لهيب النار، وضوء النار، وحرارة النار» ثلاثة نيران، ولا إذا قلنا: «قرص الشمس، وضوء الشمس، وشعاع

الشمس) ثلاثة شموس، أي: لا يلزمهم التثليث في كل ما أمر بل الإنسان هو الإنسان بنطقه وروحه، والنار هي النار بضوئها وحرارتها، وقرص الشمس هو قرص الشمس بضوئه وشعاعه.

ولكن شيخ الإسلام رد عليهم بقوله: والجواب من وجوه:

احدها ـ أنكم صرحتم بتعدد الآلهة الأرباب في عقيدة إيمانكم، وفي استدلالكم، وغير ذلك من كلامكم، فليس ذلكم شيئًا ألزمكم الناس به، بل أنتم تصرحون بذلك، كما تقدم من قولكم: نؤمن بإله واحد ضابط الكل، خالق ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله، الوحيد المولود من الأب، قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من جوهر أبيه، مولود غير مخلوق، مساو الأب في الجوهر، وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب الذي معه الأب، مسجود له، وممجد.

الوجه الثاني ـ أن تمثيلهم (بالإنسان) ونطقه،

وروحه، (والنار) وحرها، وضوئها، (والشمس) وضوئها، وشعاعها، باطل من وجوه:

احدهما ـ أن حر النار وضوءها القائم لها ليس ناراً من نار، ولا جوهراً من جوهر، ولا هو مساو النار، والشمس في الجوهر وكذلك نطق الإنسان وضوء الشمس، وهم أثبتوا ثلاثة أرباب بقولهم في الأمانة:

نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، وبرب واحد، يسوع المسيح ابن الله، الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور، نور على نور، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، مساو الأب في الجوهر.

الثاني ـ أن الضوء في الشمس والنار يراد به نفس الضوء القائم بها، ويراد به الشعاع القائم بالأرض والجدران، وهذا مباين لها، ليس قائمًا بها، فهم جعلوه الأب جوهراً قائمًا بنفسه، والابن جوهراً قائمًا بنفسه، وروح القدس ربًا جوهراً قائمًا بنفسه، ومعلوم أن ضوء النار والشمس وحرارتها ليس كل منهما شمسًا، وناراً

قائمة بنفسها، ولا جوهرًا قائمًا بنفسه، فلو أثبتوا حياة الله، وعلمه، أو كلامه صفتين قائمتين به ـ ولم يجعلوا هذا ربًا جوهرًا بنفسه، وهذا ربًا قائمًا بنفسه ـ لكان قولهم حقًا، وتمثيلهم مطابقًا... وهكذا ثابر شيخ الإسلام ابن تيمية على إدحاض حججهم الباطلة في كل ما ذهبوا إليه من التثليث، وما ذهبوا إليه من اتحاد الناسوت باللاهوت، وما اتصفوا به من تعصب ضد اليهودية.

الدعوى الخامسة والرد عليها:

أنهم موحدون، وأن ما عندهم مما يوهم التعدد كألفاظ الأقانيم، إنما هي من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر فيها التشبيه، والتجسيم.

فأجاب الإمام بقوله: «الجواب من وجوه»:

احدها ـ أن يقال: من آمن بما جاءت به الرسل، وقال ما قالوه من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتبعون في ذلك أقوال

رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل، كما قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (الصافات: ١٨٠)، أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل.

وقد قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى: ١١)، وهو رد على الممثلة.

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١)، وهو رد على المعطلة.

وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص)، وإذا كان كذلك، فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والأنبياء، بل ابتدعوا اعتقادًا لا يوجد في كلام الأنبياء.

الوجه الثاني ـ أنهم ركبوا من ألفاظ ـ بسوء تصرفهم وفهمهم ـ تركيبًا زعموا أن المسلمين يطلقونه، وليس في القرآن ما يدل ظاهره على ما ذكروه، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾

(المائدة: ٦٤)، واليهود أرادوا بقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أنه بخيل، فكذبهم الله في ذلك، وبين أنه جواد لا يبخل.

الوجه الثالث ـ أن ما جاء في القرآن والحديث هو مثل ما جاء في التوراة، وسائر كتب الأنبياء، وهذا الذي في التوراة وكتب الأنبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب، ولو كانوا هم ابتدعوه، ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم، لكان النبي ﷺ ذمهم على ذلك، كما ذمهم على ما وصفوه به من النقائص، مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ (آل عمران: ١٨١).

الدعوى السادسة والرد عليها:

«إن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال، فلا حاجة بعد إلى شرع آخر، بل يكون ما بعد ذلك شرعًا آخر غير مقبول، وأن محمدًا ﷺ لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح، فإنه بشرت به النبوات، وزعموا أن من لم تبشر به فليس بنبي».

فأجاب شيخ الإسلام بقوله: «إذا كان أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ممن لا كتاب له، ومعلوم أن أمتنا أكمل من طائفتي أهل الكتاب: اليهود، والنصارى، وأعدل، وقد جمع لهم محاسن ما في التوراة وما في الإنجيل، فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية، ولا عملية إلا وأمة محمد ﷺ أكمل منهم فيها، فأما العلوم فهم أحذق في جميع العلوم من جميع الأمم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية: كالطب، والحساب، وأما العلوم الإلهية، والمعارف الربانية، وما أخبرت به الأنبياء، فكل من نظر فيها، وقارنها بما قاله اليهود والنصارى، وجد الأولى أكمل وأتم، وبهذا يثبت فضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء، وبالتالي يتضح لنا حاجة البشرية إلى هذه الرسالة، ومنه نعرف فساد دعوى النصارى في قولهم: إن النصرانية جاءت بغاية الكمال، وكذبوا على أنفسهم وعلى الله، فما جاء بغاية الكمال إلا رسالة محمد

ﷺ ، وما الإنجيل إلا مجموعة وصايا مكملة لما نقص مما جاء في التوراة... ثم انتقل بعد ذلك إلى الأدلة الدالة على صدق رسول الله ﷺ ، وبدأ بأعظمها فقال: والقرآن كلام الله، وفيه الدعوة والحجة، فله به اختصاص على غيره، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»، والقرآن يظهر كونه آيةً وبرهانًا له من وجوه جملةً وتفصيلاً، وآياته ﷺ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع:

الأول ـ منها ما هو في العالم العلوي: كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث، وكمعراجه إلى السماء، فقد ذكر الله انشقاق القمر، وبين أنه فعله، وأخبر به لحكمين عظيمين:

أولهما ـ كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية فأراهم انشقاق القمر.

ثانيهما ـ أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات.

الثاني ـ آيات الجو.

الثالث ـ تصرفه في الحيوان والجن.

الرابع ـ تأثيره في الماء، والطعام، والثمار.

وقد تكلم شيخ الإسلام بما أثبته القرآن من بشارات الأنبياء السابقين، ثم عقب بنفس بشارات الأنبياء السابقين في الكتب السابقة وكان آخر بشارة في الجزء الثالث هي بشارة دانيال، وبما أتم به الجزء الثالث، بدأ به الجزء الرابع.

قال شيخ الإسلام: وقال دانيال عليه السلام، وذكر محمداً باسمه ﷺ، فقال: «ستنزع في قسيك إغراقاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً».

وقال أيضاً: سألت الله، وتضرعت أن يبين لي ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم، ويرد إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء، أو يجعل ذلك في

غيرهم؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال: السلام عليك يا دانيال، إن الله يقول: إن بني إسرائيل أغضبوني، وتمردوا علي، وعبدوا من دوني آلهة أخرى، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم، وسبى ذراريهم، وهدم مسجدهم، وحرق كتبهم، وكذلك فعل مَنْ بعده بهم، وأنا غير راض عنهم، ولا مقيلهم عثرات، فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول، وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط، فلا يزالون ملعونين، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسرائيل الذي بشرت به هاجر، وأرسلت إليه ملاكي، وبشرها، وأوحي إلى ذلك النبي، وأعلمه الأسماء، وأزينه بالتقوى، وأجعل البر شعاره، والتقوى ضميره، والصدق قوله، والوفاء طبيعته، والقصد سيرته، والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من

الكتب، وناسخ لبعض ما فيها، أسري به إليَّ، وأرقيه من سماء حتى يعلو فأدنيه، وأسلم عليه، وأوحي إليه، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة، حافظًا لما استودع، صادقًا فيما أمر، يدعو إلى توحيدي باللين من القول، والموعظة الحسنة، لا فظ ولا غليظ، ولا صخَّاب بالأسواق، رءوف بمن والاه، رحيم بمن آمن به، خشن على من عاداه، فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأى من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه. ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة، وانقضاء الدنيا.

قال شيخ الإسلام: وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرءونها ويقولون: «لم يظهر صاحبها بعد»!!!.

وعمومًا فلنا وقفة أخرى ـ بإذن الله ـ في هذا الكتاب نُبين فيها دلائل نبوة رسول الله ﷺ .

الرد على دعوى ألوهية المسيح

لقد كان يجب لله سبحانه - لو سبق في حكمته أنه يبرز لعباده، وينزل عن كرسي عظمته، ويباشرهم بنفسه - أن لا يدخل في فرج امرأة، ويُقيم في بطنها بين البول، والنجو، والدم عدة أشهر، وإذ قد فعل ذلك، لا يخرج صبيًا صغيرًا، يرضع، ويبكي، وإذ قد فعل ذلك لا يأكل مع الناس، ويشرب معهم، وينام، وإذ قد فعل ذلك فلا يبول، ولا يتغوط، ويمتنع من الخرأة، إذ هي منقصة ابتلى بها الإنسان في هذه الدار، لنقصه، وحاجته، وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال، الذي ما وسعته سماواته، ولا أرضه، وكرسيه وسع السماوات والأرض، فكيف وسعه فرج امرأة، تعالى رب العالمين وكلكم متفقون على أن المسيح كان يأكل، ويشرب، ويبول، ويتغوط، وينام.

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (ص٢٦٨ - ٢٩٢).

الشبهة الأولى لعباد الصليب القائلين بألوهية المسيح:

فيا معشر المثلثة وعباد الصليب، أخبرونا من كان الممسك للسماوات والأرض، حين كان ربها وخالقها مربوطًا على خشبة الصليب، وقد شدّت يداه ورجلاه بالحبال، وسمرت اليد التي أتقنت العوالم، فهل بقيت السماوات والأرض خلوًا من إلهها، وفاطرها، وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم.

أم تقولون: استخلف على تدبيرها غيره، وهبط عن عرشه، لربط نفسه على خشبة الصليب، وليذوق حر المسامير، وليوجب اللعنة على نفسه، حيث قال في التوراة: «ملعون من تعلق بالصليب».

أم تقولون - وهو في الحقيقة قولكم - لا ندري، ولكن هذا في الكتب، وقد قاله الآباء، وهم القدوة.

والجواب عليهم: فنقول لكم وللآباء، معاشر المثلثة عباد الصليب: ما الذي دلّكم على إلهية المسيح؟ فإن

كنتم استدللتم عليها بالقبض من أعدائه عليه بزعمكم، وسوقه إلى خشبة الصليب، وعلى رأسه تاج من الشوك، وهم يبصقون في وجهه، ويصفعونه.

ثم أركبوه ذلك المركب الشنيع، وشدوا يديه ورجليه بالحبال، وضربوا فيها المسامير، وهو يستغيث، ويتعلق.

ثم فاضت نفسه، وأودع ضريحه، فما أصحه من استدلال عند أمثالكم ممن هم أضل من الأنعام؟ وهو عار على جميع الأنام!!.

الشبهة الثانية لعباد الصليب القائلين بألوهية المسيح:

وإن قلتم: إنما استدللنا على كونه إلهًا، بأنه لم يولد من البشر، ولو كان مخلوقًا لكان مولودًا من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحًا، فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلهًا منه؛ لأنه لا أم له، ولا أب، والمسيح له أم، وحواء أيضًا اجعلوها إلهًا خامسًا؛ لأنها لا أم لها، وهي أعجب من خلق المسيح!!.

والله سبحانه قد نوّع خلق آدم وبنيه؛ إظهارًا لقدرته، وإنه يفعل ما يشاء، فخلق آدم لا من ذكر، ولا من أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر، لا من أنثى، وخلق عبده المسيح من أنثى لا من ذكر، وخلق سائر النوع من ذكر وأنثى.

الشبهة الثالثة للقائلين بألوهية المسيح:

وإن قلتم: استدللنا على كونه إلهًا، بأنه أحيا الموتى، ولا يحييهم إلاّ الله، فاجعلوا موسى آخر، فإنه أتى من ذلك بشيء، لم يأتِ المسيح بنظيره، ولا ما يقاربه، وهو جعل الخشبة حيوانًا عظيمًا، فهذا أبلغ وأعجب من إعادة الحياة إلى جسم كانت فيه أولاً.

فإن قلتم: هذا غير إحياء الموتى، فهذا اليسع النّبيّ أتى بإحياء الموتى، وهم يُقرون بذلك، وكذلك إيلياء النّبيّ أيضًا أحيا صبيًا بإذن الله.

وهذا موسى قد أحيا بإذن الله السبعين الذين ماتوا

من قـومه، وفي كـتـبكم من ذلك كثـيـر عن الأنبيـاء والحواريين، فهل صار أحدًا منهم إلهًا بذلك؟.

الشبهة الرابعة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: جـعلناه إلهًا للعـجائب التي ظهـرت على يديه، فعجائب موسى أعجب وأعجب، وهذا إيلياء النبيّ بارك على دقيق العجوز ودُهنهـا، فلم ينفد ما في جرابها من الدقيق، وما في قارورتها من الدهن سبع سنين!!.

الشبهة الخامسة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن جعلتمـوه إلهًا لكونه أطعم من الأرغفة اليـسيرة آلافًا من الناس، فهذا مـوسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى!!.

وهذا محـمد بن عبد الله ﷺ قـد أطعم العسكر كله من زاد يسيـر جدًا، حتى بعوا، وملؤوا أوعـيتهم، وسقاهـم كلهم من ماء يسير، لا يملأ اليـد حتى ملؤوا كل سقاء في العسكر، وهذا منقول عنه بالتواتر.

الشبهة السادسة للقائلين بالوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: جعلناه إلهًا؛ لأنه صاح بالبحر، فسكنت أمواجه، فقد ضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق اثني عشر طريقًا، وقام الماء بين الطرق كالحيطان، وفجر من الحجر الصلد اثنتى عشرة عينًا سارحة!!.

الشبهة السابعة للقائلين بالوهية المسيح وجوابها:

وإن جعلتموه إلهًا؛ لأنه أبرأ الأكمه والأبرص، وأحيا الموتى، فآيات موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أعجب من ذلك.

الشبهة الثامنة للقائلين بالوهية المسيح وجوابها:

وإن جعلتموه إلهًا؛ لأنه ادعى ذلك، فلا يخلو إما أن يكون الأمر كما تقولون عنه، أو يكون إنما ادعى العبودية والافتقار، وأنه مربوب، مصنوع، مخلوق، فإن كان كما ادّعيتم عليه فهذا أخو المسيح الدجال، وليس بمؤمن، ولا صادق فضلاً عن أن يكون نبياً كريمًا،

وجزاؤه جهنم وبئس المصير، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء: ٢٩).

وكل من ادّعى الإلهية من دون الله، فهو من أعظم أعداء الله كفرعون، ونمرود، وأمثالهما من أعداء الله، فأخرجتم المسيح عن كرامة الله، ونبوته، ورسالته،وجعلتموه من أعظم أعداء الله، ولهذا كنتم أشد الناس عداوة للمسيح في صورة محب موال.

ومن عظم ما يعرف به كذب المسيح الدجال أنه يدعي الإلهية، فيبعث الله عبده ورسوله مسيح الهدى ابن مريم، فيقتله، ويظهر أنه كان كاذبًا مفتريًا، ولو كان إلهًا لم يقتل، فضلاً عن أن يصلب، ويسمر، ويبصق في وجهه.

وإن كان المسيح إنما ادعى أنه عبد الله ورسوله، كما شهدت به الأناجيل كلها، ودلّ عليه العقل، والفطرة، وشهدتم أنتم له بالإلهية - وهذا هو الواقع - فلِمَ تأتوا على إلهيته ببينة غير تكذيبه في دعواه، وقد ذكرتم عنه في أناجيلكم في مواضع عديدة ما يُصرح بعبوديته،

وأنه مـربوب، مخلوق، وأنه ابـن البشـر، وأنه لم يدع غير النبوة والرسالة، فكذبـتموه في ذلك كله، وصدقتم من كذب على الله وعليه!!.

الشبهة التاسعة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: إنما جـعلناه إلهًا، لا لأنه أخبـر بما يكون بعده من الأمور، فـكذلك كان الأنبياء، بل وكـثير من الناس يُخـبـر بما يكون بعـده من الأمور، ويُخـبـر عن حوادث في المستقبل جزئية، ويكون ذلك كما أخبر به، ويقع من ذلك كثير للكهان والمنجمين والسحرة.

الشبهة العاشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: إنما جعلناه إلهًا لأنه سـمى نفسه ابن الله في غـير مـوضع من الإنجـيل كقـوله: «إني ذاهب إلى أبي»، «وإني سائل أبي»، ونـحو ذلك، وابن الإله إله، قيل: فاجعلوا أنفسكم آلـهة كلكم، في غير موضع إنه سماه «أباه، وأباهم».

كقوله: «اذهب إلى أبي وأبيكم»، وفيه: «ولا تنسبوا أباكم على الأرض، فإن أباكم الذي في السماء وحده». وهذا كثير في الإنجيل، وهو يدل على أن الأب عندهم الرب!!.

الشبهة الحادية عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن جعلتموه إلهًا؛ لأن تلاميذه ادعوا ذلك له، وهم أعلم الناس به، كذبتكم أناجيلكم التي بأيديكم، وكلها صريحة أظهر صراحة، بأنهم ما ادعوا له إلاَّ ما ادعاه لنفسه من أنه عبده.

فهذا (مَتَّى) يقول في الفصل التاسع من إنجيله محتجًا بنبوة أشعيا في المسيح عن الله عز وجل: «هذا عبدي الذي اصطفيته، وحبيبي الذي ارتاحت نفسي له».

وفي الفصل الحادي عشر من إنجيله: «إني أشكرك يا رب السماوات والأرض».

وهذا (لوقا) يقول في آخر إنجيله: «أن المسيح عرض له، ولآخر من تلاميذه في الطريق ملك، وهما محزونان، فقال لهما، وهما لا يعرفانه: ما بالكما

محزونين؟ فقالا: كأنك غريب في بيت المقدس، إذ كنت لا تعلم ما حدث فيها في هذه الأيام من أمر يسوع الناصري، فإنه كان رجلاً نبيًا، قويًا، تقيًا في قوله، وفعله عند الله، وعند الأمة، أخذوه، وقتلوه»، وهذا كثيرٌ جدًا في الإنجيل!!.

الشبهة الثانية عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: إنما جعلناه إلـهًا لأنه صعد إلى السماء، فهذا أخنوخ، وإلياس قد صعدا إلى السماء، وهما حيان مكرمان، لم تشكهما شوكة، ولا طمع فيهما طامع، والمسلمون مجمعون على أن محمد ﷺ صعد إلى السماء، وهو عبد محض، وهذه الملائكة تصعد إلى السماء، وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مفارقتها الأبدان، ولا تخرج بذلك عن العبودية، وهل كان الصعود إلى السماء مخرجًا عن العبودية بوجه من الوجوه؟!.

الشبهة الثالثة عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن جعلتموه إلهًا لأن الأنبياء سمته إلهًا، وربًا،

وسيدًا، ونحو ذلك، فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع الأمم، وفي سائر الكتب، وما زالت الروم والفرس والهند والسريانيون والقبط وغيرهم يسمون ملوكهم آلهة وأربابًا.

وفي السفر الأول من التوراة: «أن نبيّ الله دخلوا على بنات إلياس، ورأوهن بارعات الجمال، فتزوجوا منهن».

وفي السفر الثاني من التوراة في قصة المخرج من مصر: «إني جعلتك إلهًا لفرعون».

وفي المزمور الثاني والثمانين: «وقام الله لجميع الآلهة» هذا في العبرانية، وأما من نقله إلى السريانية فإنه حرفه، فقال: «قام الله في جماعة الملائكة».

وقال في هذا المزمور وهو يخاطب قومًا بالروح: «لقد ظننت أنكم آلهة، وأنكم أبناء الله كلكم».

وقد سمى الله سبحانه عبده بالملك، كما سمى نفسه بذلك، وسمى نبيه بالرءوف الرحيم، كما سمى نفسه بذلك، وسماه العزيز، وسمى نفسه كذلك.

واسم الرب واقع على غير الله تعالى في لغة أمة التوحيد، كما يقال: هذا رب المنزل، ورب الإبل، ورب هذا المتاع.

وقد قال شعيا: «اعرف الثور من اقتناه، والحمار مربط ربه، ولم تعرف بنو إسرائيل». يعني من خلقهم.

الشبهة الرابعة عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن جعلتموه إلهًا لأنه صنع من الطين كهيئة الطير - أي صورة طائر - ثم نفخ فيها، فصارت لحمًا، ودمًا، وطائرًا حقيقية، ولا يفعل هذا إلاّ الله، قيل: فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة، فإنه ألقى عصا فصارت ثعبانًا عظيمًا، ثم أمسكها بيده، فصارت كما كانت!!.

الشبهة الخامسة عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: جعلناه إلهًا لشهادة الأنبياء والرسل له بذلك، قال عزرا حيث سباهم بختنصر إلى أرض بابل إلى أربعمائة واثنين وثمانين سنة: «يأتي المسيح ويخلّص الشعوب والأمم».

وعند انتهاء هذه المدة أتى المسيح، ومن يطيق تخليص الأمم غير الإله التام، قيل لكم: فاجعلوا جميع الرسل آلهة، فإنهم خلّصوا الأمم من الكفر والشرك، وخلصوهم من النار بإذن الله وحده، ولا شك أن المسيح خلّص منْ آمن به واتبعه من ذلّ الدنيا وعذاب الآخرة.

كما خلّص موسى بني إسرائيل من فرعون وقومه، وخلّصهم بالإيمان بالله واليوم الآخر من عذاب النار في الآخرة، وخلّص الله سبحانه وتعالى بمحمد بن عبد الله ﷺ عبده، ورسوله من الأمم والشعوب ما لم يخلّصه نبيّ سواه، فإن وجبت بذلك الإلهية لعيسى، فموسى، ومحمد أحق بها منه.

الشبهة السادسة عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: أوجبنا له الإلهية، لقول أرمياء النبي عن ولادته: «وفي ذلك الزمان يقوم لداود ابن، وهو ضوء النور، يملك الملك، ويقيم الحق، والعدل في الأرض، ويُخلص من آمن به من اليهود، ومن بني إسرائيل،

ومن غيرهم، ويبقى بيت المقدس من غير مقابل، ويُسمى الإله».

فقد تقدم أن اسم الإله في الكتب المتقدمة وغيرها، قد أطلق على غيره، بمنزلة الرب، والسيد، والأب، ولو كان عيسى هو الله، لكان أجل من أن يقال ويُسمى الإله، وكان يقول: وهو الله، فإن الله سبحانه لا يعرف بمثل هذا، وفي هذا الدليل الذي جعلتموه به إلهًا أعظم الأدلة على أنه عبد، وأنه ابن البشر، فإنه قال: «ويقوم لداود ابن»، فهذا الذي قام لداود هو الذي سمى بالإله، فعلم أن هذا الاسم لمخلوق مصنوع، مولود، لا لرب العالمين، وخالق السماوات والأراضين.

الشبهة السابعة عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: إنما جعلناه إلهًا من جهة، قول أشعيا النّبيّ: «قل لصهيون يفرح ويتهلل فإن الله يأتي، ويُخلّص الشعوب، ويُخلص من آمن به، ويخلّص مدينة بيت المقدس، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع

الأمم المتبـددين، وبجعلهم أمـة واحدة، ويصرّ جـميع أهل الأرض خــلاص الله، لأنه يمشي مـعــهم، وبين أيديهم، ويجمعهم إله إسرائيل».

قيل لكم: هذا يحـتاج (أولاً) إلى أن يعلم أن ذلك في نبوة أشعيا بهذا اللفظ بغير تحريف للفظه، ولا غلط في الترجمة، وهذا غير معلوم.

وإن ثبت ذلك لم يكن فيـه دليل على أنه إله تام، وأنه غير مصنوع، ولا مخلوق، فإنه نظير ما في التوراة من قـولـه: «جـاء الله من طور سـينـاء، وأشـرق من ساعـير، واستـعلن من جبال فـاران» وليس في هذا ما يدل على أن موسى ومحمـدًا إلهين، والمراد بهذا مجيء دينه، وكتابه، وشرعه، وهداه، ونوره.

أمـا قـوله: «ويظهـر ذراعـه الطاهر لجـمـيع الأمم المتـبددين» فـفي التوراة مـثل هذا، وأبلغ منه في غـير موضع، وأما قوله: «ويبصر جميع أهل الأرض خلاص الله لأنه يمشي معهم، وبين أيديهم».

فقد قال في التوراة في السفر الخامس لبني إسرائيل: «لا تهابوهم، ولا تخافوهم؛ لأن الله ربكم السائر بين أيديكم، وهو محارب عنكم».

وفي موضع آخر قال موسى: «إن الشعب هو شعبك، فقال: أنا أمضي أمامك. فقال: إن لم تمضِ أنت أمامنا، وإلاّ فلا تصعدنا من ههنا، وكيف أعلم أنا؟ وهذا الشعب أني وجدت نعمة كذا إلاّ بسيرك معنا».

وفي السفر الرابع: «إني أصعدت هؤلاء بقدرتك، فيقولان لأهل الأرض: الذين سمعوا منك الله، فيما بين هؤلاء القوم يرونه عينًا بعين، وغمامك يُغيم عليهم، ويعود غمامًا يسير بين أيديهم نهارًا، ويعود نارًا ليلاً».

وفي التوراة أيضًا: «يقول الله لموسى: إني آتٍ إليك في غلظ الغمام، لكي يسمع القوم مخاطبتي لك»، وفي الكتب الإلهية، وكلام الأنبياء من هذا كثير.

وفيما حكى خاتم الأنبياء عن ربه تعالى أنه قال: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى احبه، فإذا احببته

كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يُبصر، وبي يبطش، وبي يمشي» (أخرجه البخاري ٦٠٢١).

الشبهة الثامنة عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: جعلناه إلهًا، لقول زكريا في نبوته لصهيون: «افرحي يا بنت صهيون لأني آتيك وأحل فيك، واترائي، ويؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة ويكونون له شعبًا واحدًا، ويحل هو فيهم، ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا، ويملك عليهم إلى الأبد».

قيل لكم: إن أوجبتم له الإلهية بهذا، فلتجب لإبراهيم، وغيره من الأنبياء، فإن عند أهل الكتاب وأنتم معهم «إن الله تجلى لإبراهيم، واستعلن له، وترائى له».

وأما قوله: «وأحل فيك» لم يرد الله سبحانه وتعالى حلول ذاته، التي لا تسعها السماوات والأرض في بيت

المقدس، وكيف تحل ذاته في مكان يكون فيه مقهوراً مغلوبًا، مع شرار الخلق؟ كيف، وقد قال: «ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك». أفتُرى، عرفوا قوته بالقبض عليه، وشد يديه بالحبال، وربطه على خشبة الصليب، ودق المسامير في يديه ورجليه، ووضع تاج الشوك على رأسه، وهو يستغيث ولا يغاث، وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلاّ وهو مغلوب مقهور، مستخفٍ في غالب أحواله.

ولو صحّ مجيء هذه الألفاظ صحة لا تدفع، وصحّت ترجمتها كما ذكروه، لكان معناها: أن معرفة الله، والإيمان به، وذكره، ودينه، وشرعه، حلّ في تلك البقعة، وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد رفعه، حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته، ما لم يكن قبل ذلك.

وجماع الأمر أن النبوات المتقدمة، والكتب الإلهية لم تنطق بحرف واحد يقتضي أن يكون ابن البشر إلهًا تامًا: إله حق من إله حق، وأنه غير مصنوع، ولا

مربوب، بل بِمَ يخصه إلا بما خص به أخوه، وأولى الناس به محمد بن عبد الله في قوله: «أنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه».

وكتب الأنبياء المتقدمة، وسائر النبوات موافقة لما أخبر به محمد ﷺ، وذلك كله يصدّق بعضه بعضًا، وجميع ما تستدل به المثلثة عباد الصليب على إلهية المسيح من ألفاظ، وكلمات في الكتب، فإنها مشتركة بين المسيح وغيره، كتسميته ابنًا وكلمة، وروح الحق، وإلهًا، وكذلك هو روح القدس، أما روح القدس فهي سر الله وأمره، وقد ورد في الكتب الإلهية لغير المسيح، وقد أُطلقت لمعانٍ منها جبريل، ومنها اسم الله الأعظم، ومنه الوحي، وقد أُطلقت على المسيح لأن روحه لم تخالط نطفة، والقدوس هو الطاهر، ولذلك أطلق على المسيح روح الله، وهذه الإضافة إضافة تعظيم، كقوله: بيت الله وناقة الله، وكما كانت الأمم الماضية يُطلقون على أنفسهم أبناء الله، ومنها القرآن الذي أعم من

القرآن المنزل على محمد، الشامل لكل كتاب منزل.

وأما الروح التي بها الحياة فهي النفس على قاعدة أهل السنَّة، وهي جسم لطيف يُشاكل الأجسام المحسوسة، تحدث ويخرج بها إلى السماء بفرح، لا تموت ولا تفنى، وهي مما له أول وليس له آخر، كالجنة والنار والأجساد في المعاد، وهي بعينين ويدين، وهي ذو رائحة طيبة أو كريهة بحسب محلها، وهي إما منعمة أو معذبة، وذلك غاية الدليل على حدوثها.

وإنما سمي المسيح روح الله لأنه ذو روح، ووجد من غير جزء من ذي روح، كالنطفة المنفصلة من الأب الحي، وإنما اخترع اختراعًا من عند الله وقدرته خالصة، وسمي كلمة الله لأنه وجد بكلمته وأمره من غير واسطة أب، ولا نطفة، وهذا ظاهر.

وكذلك ما أُطلق من حلول روح القدس فيه، وظهور الرب فيه أو في مكانه، وقد وقع في نظير شركهم وكفرهم، طوائف من المنتسبين إلى الإسلام، واشتبه عليهم

ما يحل في قلوب العارفين من الإيمان به، ومعرفته، ونوره، وهداه، فظنوا أن ذلك نفس ذات الرب.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧) وهو ما في قلوب الملائكة، وأنبيائه، وعباده المومنين من الإيمان به، ومعرفته، ومحبته، وإجلاله، وتعظيمه، وهو نظير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (البقرة: ١٣٧)، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾ (الأنعام: ٣)، وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ۝٨٤﴾ (الزخرف: ٨٤).

فأولياء الله يعرفونه، ويحبونه، ويجلّونه، ويُقال: هو في قلوبهم، والمراد: محبته، ومعرفته، والمثل الأعلى في قلوبهم، لا نفس ذاته، وهذا أمر تعتاده الناس في مخاطبتهم، ومحاوراتهم، يقول الإنسان لغيره: أنت في قلبي، ولا زلت في عيني، **كما قال القائل:**

ومن عـــجب أني أحن إليـــهم
وأسأل عنهم من لقـيت وهم معي
وتطلبهم عـيني وهم في سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقال آخر:

خيالك في عيني وذكراك في فمي
ومـثـواك في قلبي فـأين تغـيب

وقال آخر:

ســـاكن في الـقلب يعـــمـــره
لســت أنســـاه فـــأذكـــره

وقال آخر:

إن قلت غبت فقلبي لا يصدقني
إذ أنت فـــيـــه لم تـغب
أو قلت ما غبت قال الطرف ذا كذب
فقد تحيرت بين الصدق والكذب

وقال آخر:

أحن إليه وهو في القلب ساكن

فيا عجبًا لمن يحن لقلبه

ومن غلظ طبعه، وكشف فهمه عن فهم مثل هذا لم يكثر عليه أن يفهم من ألفاظ الكتب، أن ذات الله سبحانه تحل في الصورة البشرية، وتتحد بها، وتمتزج بها، تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيرًا.

الشبهة التاسعة عشرة للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم أوجبنا له الإلهية من قول أشعيا: «من أعجب الأعاجيب أن رب الملائكة سيولد من البشر».

قيل لكم: هذا مع أنه يحتاج إلى صحة هذا الكلام عن أشعيا، وأنه لم يحرف بالنقل من ترجمة إلى ترجمة، وأنه كلام منقطع عما قبله وبعده ببينة، تنبيه ودليل على أنه مخلوق مصنوع، وأنه ابن البشر، مولود منه، لا من الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد،

ولم يكن له كفوًا أحد.

الشبهة العشرون للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن قلتم: جعلناه إلهًا، من قول متى في إنجيله: «إن ابن الإنسان يُرسل ملائكته، ويجمعون كل الملوك، فيلقونهم في أتون النار».

قيل: هذا كالذي قبله سواء، ولم يرد أن المسيح هو رب الأرباب، ولا أنه خالق الملائكة، ومما يشهد لذلك وأن الضمير في الهاء من الملائكة راجع إلى الله لا إلى المسيح، قول مرقس في إنجيله في هذا المعنى: «فابن الإنسان يفضحه إذا جاء في محرابه، وملائكته المقدسين»، فافهم ذلك.

ويمكن أن يجعل الله المسيح سفيرًا يوم القيامة بينه وبين بعض ملائكة العذاب في جميع ملوك الكفر من المنتسبين لدينه، من عرصات القيامة وإدخالهم النار، والضمير في الملائكة عائد إلى الله لا إلى المسيح، وإنما

القوم جهلة بمقام الربوبية ومقام النبوة، ومقام الملائكة، واللسان العربي المترجم به عن لغتهم، ومن يُضلل الله فما له من هاد.

وحاش لله أن يطلق عليه أنه رب الملائكة، بل هذا من أقبح الكذب والافتراء؛ بل رب الملائكة أوصاهم بحفظ المسيح، وتأييده، بشهادة النّبيّ القائل عندهم: «إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك»، ثم بشهادة لوقا: «أن الله أرسل له ملكًا من السماء ليقويه» هذا الذي نطقت به الكتب، فحرف الكذّابون على الله، وعلى مسيحه ذلك، ونسبوا إلى الأنبياء أنهم قالوا: هو رب الملائكة.

وإذا شهد الإنجيل، واتفق الأنبياء والرسل، أن الله يوصي ملائكته بالمسيح ليحفظوه، علم أن الملائكة والمسيح عبيد الله، منقادون لأمره ليسوا أربابًا، ولا آلهة، قال المسيح لتلاميذه: «من قبلكم فقد قبلني، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني».

وقال المسيح لتلامذنه أيضًا: «من أنكرني قدام الناس، أنكرته قدام ملائكة الله».

وقال للذي ضرب عند رئيس الكهنة: «أغمد سيفك، ولا تظن أني لا أستطيع أن أدعو الله الأب، فيُقيم لي أكثر من اثني عشر من الملائكة»، فهل يقول هذا من هو رب الملائكة، وإلههم، وخالقهم؟!.

الشبهة الواحدة والعشرون للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن أوجبتم له الإلهية، بما نقلتموه عن أشعيا: «تخرج عصا من بيت نبي، ويخرج منها نور، ويحلّ فيه روح القدس، روح الله، روح الكلمة والفهم، روح الحيل والقوة، روح العلم وخوف الله، وبه يؤمنون، وعليه يتوكلون، ويكون لهم التاج والكرامة إلى دهر الداهرين».

قيل لكم: هذا الكلام بعد المطالبة بصحة نقله عن أشعيا، وصحة الترجمة له باللسان العربي، وأنه لم تحرفه التراجم، هو حجة على المثلثة عباد الصليب لا لهم؛ فإنه لا يدل على أن المسيح هو خالق السماوات

والأرض؛ بل يدل على مثل ما دلّ عليه القرآن، وأن المسيح أُيّدَ بروح القدس؛ فإنه قال: «ويحل فيه روح القدس، روح الله، روح الكلمة والفهم، روح الحيل والقوة، روح العلم وخوف الله» ولم يقل تحل فيه حياة الله، فضلاً عن أن يحلّ الله فيه، ويتحد به، ويتخذ حجابًا من ناسوته، وهذه روح تكون مع الأنبياء والصديقين.

وعندهم في التوراة: «أن الذين كانوا يعملون في قبة الزمان، حلَّت فيهم روح الحكمة»، وروح الفهم والعلم هي ما يحصل به الهدى، والنصر، والتأييد، وقوله: «روح الله» لا تدل على أنها صفته فضلاً عن أن يكون هو الله، وجبريل يُسمى روح الله، والمسيح اسمه روح الله.

والمضاف إلى الله إذا كان ذاتًا قائمة بنفسها، فهو إضافة مملوك إلى مالك، كبيت الله، وناقة الله، وروح الله؛ ليس المراد به: بيت يسكنه، ولا ناقة يركبها، ولا روحًا قائمة به، وقد قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ (الشورى: ٥٢)، فهذه الروح أيّد بها عباده المؤمنين.

أما قوله: «وبه يؤمنون وعليه يتوكلون» فهو عائد إلى الله لا إلى العصا التي تنبت من بيت النبوة، وقد جمع الله بين هذين الأصلين في قوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ (الملك: ٢٩)، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (يونس: ٨٤)، وهو كثير في القرآن، وقد أخبر أنه أيده الله بروح العلم وخوف الله، فجمع بين العلم والخشية، وهما الأصلان اللذان جمع القرآن بينهما، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨).

وفي قول النَّبيّ ﷺ : «**انا اعلمكم بالله، واشدكم له خشية**» (أخرجه البخاري ومسلم)، وهذا شأن العبد المحض، وأما الإله الحق، ورب العالمين، فلا يلحقه خوف، ولا خشية، ولا يعبد غيره، والمسيح كان قائمًا بأوراد العبادات لله أتم القيام.

الشبهة الثانية والعشرون للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن أوجبتم له الإلهية بقـول أشعيا: «إن غلامًا ولد لنا، وأنبأ أعطيناه كذا وكذا، رئاسـة على عاتقيه، وبين منكبيـه، ويدعى اسمـه ملكًا عظيمًـا إلهًا قويًـا مسلَّطًا رئيسًا، قوي السـلامة، في كل الدهور وسلطانه، كامل ليس له فناء».

قـيل لكم: ليس في هذه البـشارة مـا يدل على أن المراد بها المسـيح بوجه من الوجوه، ولو كـان المراد بها المسيح، لم يدل على مطلوبهم.

أما «المقـام الأول»: فدلالتها عـلى محمد بن عـبد الله، أظهـر من دلالتـهـا على المسـيح، فـإنه هو الذي رياسته على عاتقه، وبين منكبيه، من جهتين:

من جهة أن خاتم النبوة على نغض كتفيه، وهو من أعـلام النبوة التي أخـبرت به الأنبـياء، وعـلامة خـتم ديوانهم، ولذلك كان في ظهره.

ومن جـهـة أنه بعث بالسـيف الذي يتـقلد به على

عاتقه، ويرفعه إذا ضرب به على عاتقه، ويدل عليه قوله: «رئيس مسلط، قوي السلامة»، وهذه صفة محمد ﷺ، المؤيد المنصور، رئيس السلامة، فإن دينه الإسلام، ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا، ومن عذاب الآخرة، ومن استيلاء عدوه عليه، والمسيح لم يسلط على أعدائه كما سلط محمد ﷺ، بل كان أعداؤه مسلطين عليه، قاهرين له، حتى عملوا به ما عملوا عند المثلثة عباد الصليب، فأين مطابقة هذه الصفات للمسيح بوجه من الوجوه؟! وهي مطابقة لمحمد بن عبد الله ﷺ من كل وجه، وهو الذي سلطانه كامل ليس له فناء إلى آخر الدهر.

فإن قيل: إنكم لا تدعون محمد إلهًا، بل هو عندكم عبد محض؟ قيل: نعم، والله إنه لكذلك عبد محض، والعبودية أجلُّ مراتبه، واسم «الإله» من جهة التراجم جاء، والمراد به السيد المطاع له، لا الإله المعبود، الخالق الرازق.

الشبهة الثالثة والعشرون للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن أوجبتم له الإلهية من قول أشعيا فيما زعمتم: «ها هي العذراء، تحبل وتلد ابنًا يدعى اسمه: عمانويل»، وعمانويل كلمة عبرانية تفسيرها بالعربية: (إلهنا معنا)، فقد شهد له النّبيّ ﷺ أنه إله، قيل لكم: بعد ثبوت هذا الكلام وتفسيره، لا يدل على أن العذراء ولدت رب العالمين، وخالق السماوات والأرض؛ فإنه قال: تلد ابنًا، وهذا دليل على أنه ابن من جملة البنين، ليس هو رب العالمين.

وقوله: «ويدعى اسمه عمانويل» فإنه يدل على أنه يُسمى بهذا الاسم، كما تسمي الناس أبناءهم بأنواع من الصفات، والأسماء، والأفعال، والجمل المركّبة من اسمين، أو اسم وفعل.

وكثير من أهل الكتاب يُسمون أولادهم عمانويل، ومن علمائكم من يقول: المراد بالعذراء هنا، غير مريم، ويذكر في ذلك قصة، ويدل على هذا أن المسيح

لا يعرف اسمه «عمـانويل»، وإن كان ذلك اسمه فكونه يُسمى إلهنا معنا، أو بالله حسبي، أو الله وحده، ونحو ذلك، لا يدل على أنه إله.

وقد حرّف بعض المثلثة عـبّاد الصليب هذه الكلمة، وقـال: مـعناها: «الله مـعنا»، فـردَّ عليـهم بعض من أنصف من علمـائهم، وحكم رشـده على هواه، وهداه الله للحق، وبصـره من عمـاه، وقال: أهذا هو القـائل «أنا الرب، ولا إله غيري، وأنا أحـيي وأُميت، وأخلق، وأرزق».

أم هو القـائل لله: «إنـك أنت الإله الحق وحـدك، الذي أرسلت يـسـوع المسيح» قـال: والأول: باطل، والثاني: هو الذي شهد به الإنجيل.

ويجب تصـديق الإنجـيل، وتكذيـب من زعم أن المسيح إلهٌ معبود.

قـال: وليس المسيح مـخصـوصًا بهـذا الاسم، بل «عمانويل» اسم تسمي به النصارى، واليهود أولادهما،

قال: وهذا موجود في عصرنا هذا، ومعنى هذه التسمية بينهم: شريف القدر عند الله.

قال: وكذلك السريان يُسمون أولادهم «عمانويل»، والمسلمون، وغيرهم، يقولون للرجل: الله معك، فإذا سمي الرجل بقوله: الله معك، أو الله معنا، كان هذا تبركًا، بمعنى هذا الاسم.

الشبهة الرابعة والعشرون للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن أوجبتم له الإلهية بقول (حبقوق) فيما حكاه عنه: «إنَّ الله في الأرض يتريا، ويختلط مع الناس، ويمشي معهم».

ويقول (أرميا) أيضًا: «بعد هذا، الله يظهر في الأرض، وينقلب مع البشر»، قيل لكم: هذا بعد احتياجه إلى ثبوت نبوة هذين الشخصين أولاً، وإلى ثبوت هذا النقل عنهما، وإلى مطابقة الترجمة من غير تحريف - وهذه «ثلاث مقامات» يعز عليكم إثباتها - لا يدل على أن المسيح هو خالق السماوات والأرض، وأنه

إلهٌ حق ليس بمخلوق، ولا مصنوع، ففي التوراة ما هو من هذا الجنس وأبلغ، ولم يدل ذلك على أن موسى إله، ولا أنه خارج عن جملة العبيد.

وقوله: «يتريا» مثل: تجلّى الله، وظهر، واستعلن، ونحو ذلك من ألفاظ التوراة، وغيرها من الكتب الإلهية.

وقد ذكر في التوراة: «أن الله تجلّى، وتريا لإبراهيم وغيره من الأنبياء» ولم يدل ذلك على الإلهية لأحد منهم، ولم يزل في عُرف الناس، ومخاطبتهم أن يقولوا: فلان معنا، وهو بين أظهرنا، ولم يمت إذا كان عمله، وسُنّته، وسيرته بينهم، ووصاياه يعمل بها بينهم.

وكذلك يقول القائل لمن مات والده: ما مات من خلَّف مثلك، وأنا والدك، وإذا رأوا تلميذ العالم يعلم علمه، قالوا: هذا فلان باسم أستاذه، كما كان يُقال عن عكرمة: هذا ابن عباس، وعن أبي حامد: هذا الشافعي.

وإذا بعث الملك نائبًا يقوم مقامه في بلد، يقول الناس: جاء الملك، وحكم الملك، ورسم الملك.

وفي الحديث الصحيح الإلهي يقول الله عز وجل يوم القيامة: «عبدي مرضتُ فلم تعدني، فيقول: يا رب، وكيف اعودك، وأنت رب العالمين؟!.

قال: اما علمت انّ عبدي فلانًا مرض، فلم تعده، أَمَا لو عُدتَه لوجدتني عنده. عبدي، جُعت فلم تُطعمني، فيقول: يا رب، كيف أُطعمك وانت رب العالمين؟!.

قال: أَمَا علمت انّ عبدي فلانًا استطعمك فلم تُطعمه، اما لو اطعمته لوجدت ذلك عندي. عبدي استسقيتك فلم تسقني، فيقول: ربٌ كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟!.

فيقول: أَمَا ان عبدي فلانًا عطش فاستسقاك فلم تُسقه، اما لو سقيته لوجدتَ ذلك عندي» (أخرجه مسلم).

وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠).

ومن هذا قوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠) فلو استحلّ المسلمون ما استحللتم، لكان استدلالهم بذلك على أن محمدًا ﷺ إله من جنس استدلالكم لا فرق بينهما!.

الشبهة الخامسة والعشرون للقائلين بألوهية المسيح وجوابها:

وإن أوجبتم له الإلـهية بقوله في السفر الثالث من أسفار الملوك: «والآن يا رب إله إسرائيل، يتحقق كلامك لداود؛ لأنه حق، أن يكون أنه سيسكن الله مع الناس على الأرض، اسمعوا أيتها الشعوب كلكم، ولتنصت الأرض، وكل من فيها، فيكون الرب عليها شاهدًا، ويخرج من موضعه، وينزل ويطأ على مشارق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب».

قيل لكم: هذا السفر يحتاج أولاً إلى أن يثبت، وأن الذي تكلم به نبي، وأن هذا لفظه، وأن الترجمة مطابقة له، وليس ذلك بمعلوم، وبعد ذلك فالقول في هذا الكلام كالقول في نظائره مما ذكرتموه، وما لم تذكروه،

وليس في هذا الكلام ما يدل على أن المسيح خالق السماوات والأرض، وأنه إله حقٌ غير مصنوع، ولا مخلوق، فإن قوله: «إن الله سيسكن مع الناس في الأرض» هو مثل كونه معهم، وإذا صار في الأرض نوره، وهداه، ودينه، ونبيه، كانت هذه سكناه، لا أنه بذاته المقدسة ينزل عن عرشه، وسكن مع أهل الأرض، ولو قدر تقدير المحالات أن ذلك واقع، لم يلزم أن يكون هو المسيح، فقد سكن الرسل والأنبياء قبله وبعده، فما الموجب لأن يكون المسيح هو الإله دون إخوانه من المرسلين؟.

أتُرى ذلك للقوة والسلطان الذي كان له، وهو في الأرض، وقد قلتم: أنه قُبض عليه، وفُعل به ما فعل، من غاية الإهانة، والإذلال، والقهر، فهذا ثمرة سُكناه في الأرض مع خلقه.

وإن قلتم: سُكناه، في الأرض مع خلقه هو ظهوره في ناسوت المسيح، قيل لكم: أما الظهور الممكن

المعقول، وهو ظهور محبته، ومعرفته، ودينه، وكلامه، فهذا لا فرق فيه بين ناسوت المسيح وناسوت سائر الأنبياء والمرسلين، وليس في اللفظ على هذا التقدير ما يدل على اختصاصه بناسوت المسيح.

وأما الظهور المستحيل الذي تأباه العقول، والفِطَر، والشرائع، وجميع النبوات، وهو ظهور ذات الرب في ناسوت مخلوق من مخلوقاته، واتحاده به، وامتزاجه، واختلاطه، فهذا محال عقلاً وشرعًا، فلا يمكن أن تنطق به نبوة أصلاً؛ بل جميع النبوات من أولها إلى آخرها متفقة على أصول:

أحدها - أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد، لا شريك له في ملكه، ولا ندّ، ولا ضدّ، ولا وزير، ولا مشير، ولا ظهير، ولا شافع، إلاّ من بعد إذنه.

الثاني - أنه لا والد له، ولا ولد، ولا كفؤ، ولا نسيب بوجه من الوجوه، ولا زوجة.

الثالث - أنه غنيٌّ بذاته، فلا يأكل، ولا يشرب، ولا يحتاج إلى شيء مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه.

الرابع - أنه لا يتغير، ولا تعرض له الآفات من الهرم، والمرض، والسِّنَة، والنوم، والنسيان، والندم، والخوف، والهمّ، والحزن، ونحو ذلك.

الخامس - أنه لا يماثل شيئًا من مخلوقاته، بل ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

السادس - أنه لا يحل في شيء من مخلوقاته، ولا يحل في ذاته شيء منها، بل هو بائنٌ عن خلقه بذاته، والخلق بائنون عنه.

السابع - أنه أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، وفوق كل شيء، وغالب على كل شيء، وليس فوقه شيء البتة.

الثامن - أنه قادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء يريده، بل هو الفعال لما يريد.

التاسع - أنه عالم بكل شيء، يعلم السرّ وأخفى، ويعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكنْ لو كان كيف كان يكون ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ﴾ (الانعام: ٥٩)، ولا ساكنٌ ولا متحرك، إلاّ وهو يعلمه على حقيقته.

العاشر - أنه سميع، بصير، يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، ويرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، قد أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات، وقدرته بجميع المقدورات، ونفذت مشيئته في جميع البريات، وعمت رحمته جميع المخلوقات، ووسع كرسيه الأرض والسماوات.

الحادي عشر - أنه الشاهد الذي لا يغيب، ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه، ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده، أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم.

الثاني عشر - أنه الأبدي، الباقي، الذي لا يضمحل، ولا يتلاشى، ولا يعدم، ولا يموت.

الثالث عشر - أنه المتكلم، الآمر، الناهي، قائل الحق، وهادي السبيل، ومُرسل الرسل، ومُنزّل الكتب، والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر، ومُجازي المُحسن بإحسانه، والمُسيء بإساءته.

الرابع عشر - أنه الصادق في وعده وخبره، فلا أصدق منه قيلاً، ولا أصدق منه حديثًا، وهو لا يُخلف الميعاد.

الخامس عشر - أنه تعالى صمد بجميع معاني الصمدية، فيستحيل عليه ما يُناقض صمديته.

السادس عشر - أنه قدوس، سلام، فهو المبرأ من كل عيب، ونقص وآفة.

السابع عشر - أنه الكامل، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه.

الثامن عشر - أنه العدل، الذي لا يجور، ولا يظلم، ولا يخاف عباده منه ظلمًا.

فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب، والرسل، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه، ولا يُخبر نبيّ بخلافه أصلاً، فترك المثلثة عبّاد الصليب هذا كله، وتمسكوا بالمتشابه من المعاني، والمُجمل من الألفاظ، وأقوال من قد ضلّوا من قبل، وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل.

وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين، تُخالف هذا كله أشد المخالفة، وتباينه أعظم المباينة.

الله محبة

ما الذي فهمه النصارى من هذه العبارة؟

فما أحب الله من سبَّه أعظم مسبة، ولم يُقِرَّ بأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، ولم يجعله أكبر من كل شيء، بل قال فيه سبحانه وتعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (مريم: ٩٠).

فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها «إن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبته، وأن المسيح ابنه، وأنه أنزل عن كرسي عظمته، والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ما جرى إلى أن قُتل، ودُفن، ومات، فدينها عبادة الصلبان، ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان، يقولون في دعائهم: يا والدة الإله، ارزقينا، واغفري لنا، وارحمينا».

فدينهم شرب الخمور، وأكل الخنزير، وترك الختان، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة، والحلال ما حلله القس، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، وينجيهم من عذاب السعير.

ما أحب الله من ترك عقيدة التوحيد، وأخذ دينه من الوثنيات، فشابه ما تقوله الهنود في كرشنة وبوذا، وقال بالتثليث، وتوافق معهم في عقيدة الفداء والصلب، ولتخليص العالم من الخطيئة، والقول بتجسد الإله المخلص، ونزوله إلى الأرض، وولادته، وظهور نجم في السماء عند ولادته، وحدوث الظلمة في الأرض عند قتله، وتجربة الشيطان لأبناء الآلهة المخلصين، ونزولهم إلى الجحيم لتخليص الأموات.

إن جميع المذاهب المسيحية المعروفة الآن مهما اختلفت في تحديد شخصية المسيح، فإنها مؤلّهة له،

ليس فيها من يدين بدين الحق الذي يجعل عيسى مجرد رسول من عند الله، ليس إلـهًا ولا ابن إله، بل هو في معتقدهم الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، وكلمة الله المتجسد من مريم العذراء، لخلاص العالم!!

ما أحب الأساقفة والبتاركة بعضهم بعضًا، فما اجتمعوا في مجمع من المجامع إلا ولعنوا، وتبرأوا، وكَفَّروا من خالفهم، فكلهم لاعِن ملعون، فمتى استشعروا معنى الحب في الله؟!

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة: ١٤)، والميثاق المأخوذ عليهم في التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ، إذ هو مكتوب في الإنجيل، والحظ الذي نساه النصارى هو الإيمان بمحمد ﷺ، أي: لم يعملوا بما أمروا به، وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سببًا للكفر بمحمد ﷺ.

وفي قولهم: ﴿إِنَّا نَصَارَى﴾ ولم يقل: من النصارى دليل على أنهم ابتدعوا النصرانية، وتسموا بها، روي معناه عن الحسن، يقول سبحانه: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (المائدة: ١٤). صار بعضهم لبعض عدوًا، وافترقوا إلى: اليعاقبة، والنسطورية، والملكانية، أي كفر بعضهم بعضًا، فكل فرقة مأمورة بعداوة صاحبتها، وإبغاضها، لأنهم كفار، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ تهديد لهم، أي: سيلقون جزاء نقض الميثاق، فهذا حالهم مع الله، ومع بعضهم البعض، ثم حالهم مع سائر الخلق عامة، ومع المسلمين بصفة خاصة أمره لا يخفى.

إن المحبة ليست مجرد كلمة تقال، قال الحسن: ادعى قوم محبة الله، فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

وقال: «إن قومًا غرتهم أماني المغفرة، ذهبوا ولا حسنة لهم، وقالوا: نُحسن الظن بالله، وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل».

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار» (متفق عليه).

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه» (متفق عليه)، والنصوص في ذلك كثيرة.

عبادة الرهبان والقديسين[1]

لم يقف النصارى في وثنيتهم عند هذا الحد من عبادة المسيح، وأمه، وروح القدس، بل تعدوا ذلك إلى عبادة الرهبان والقديسين، كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾

(التوبة: ٣١).

وكما غلا النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام، فقد غلوا في قديسيهم، وصالحيهم، فاتخذوا قبورهم كنائس، وملأوها بصور هؤلاء القديسين، وهم يجثون على الركب أمام هذه الصور، ويتضرعون إليها ويستشفعون بها، ويعتقدون أن روح المسيح حلت فيها، ولقد بلغ افتتانهم بها حدًا كبيرًا.

(١) راجع كتاب «دعوة التوحيد» للأستاذ محمد خليل هراس - رحمه الله تعالى (ص٢٢٧ - ٢٣٠).

وفي الكتاب الذي ألفه الكاتب الفرنسي ج.أ.س. كولان دي بلانس وسماه (قاموس الأضرحة والمقابر) وترجمه وعلق عليه الدكتور أمين رضا فصول مثيرة عن كثرة الآثار المقدسة لدى المسيحيين، وعكوف عامتهم على الخضوع لها حتى أنهم نسوا دعاء الله إلى جانب دعاء هذه الأضرحة والتماثيل.

يقول في موضع من هذا الكتاب: «لقد كان عامة الكاثوليك لا يفكرون في دعاء الله، بل كانوا يتوجهون بالضراعة إلى ضريح القديسة جنيفيف، أو إلى مقدسات السيدة العذراء المتعددة، أو بقايا يسوع .. وقد استولى القسس والرهبان على جميع العيون المعدنية التي اشتهرت بميزة خاصة، وعلقوا فيها صورًا صغيرة، وبعد طي الزمن أصبح معروفًا أن هذه المياه المعدنية لم تكن تشفي المرضى لعنصر فعال طبيعي جعله الله فيها،

بل رحمة من القديسين الذين كانت العيون تسمى بأسمائهم، وهكذا كانت المعجزات كثيرة جدًا مع أن إيمان هؤلاء السلف لم يكن أكثر من إيماننا: إخلاصًا، وقوة وكانت جميع أنحاء فرنسا تهتم بتعقب أخبار قديس سافر من مكان إلى مكان آخر، أو بأخبار نقل ضريح من مكان إلى آخر، وكان اهتمام الناس بهذه الأخبار يماثل اهتمامنا اليوم بأعياد النصر، وكانت الطرق بين المدن لا يطرقها إلا حجاج مؤمنون مخلصون، يؤمون قديسًا مشهورًا بقضاء حاجة في أنفسهم.

ومما يحكى أن فيليب الطويل لم يشف من الحمى الرباعية إلا بعد أن لمس المسمار المقدس، وذراع القديس سيميون الذي كان يعبده الناس في مدينة سان دنيس، وقد وضعت هاتان البروكتان معجزة الشفاء أيضًا في دوق (نورمانديا) ابن الملك فيليب دي فالو.

ومع أن شفاءه لم يتم إلا بعد ستة أسابيع، إلا أنه أصر على السفر إلى سان دنيس لتقديم الشكر، وكان المؤمن المخلص في إيمانه يعتقد أن من يستعمل الطب إنما يسب القديسين، وأن جميع الأمراض تشفيها مقدساتهم، ويقال: إن أحد الأتقياء مرض، فقصد طبيبًا، فظهرت له السيدة العذراء، وأنذرته بأنه سيظل طول حياته مريضًا إن هو لم يتوجه للعلاج إلى إحدى النوتردامات، ولم يشرك معها في علاجه أحدًا إلى أن يقول: ولم يكن يمر يوم من غير أنه يسمع الناس فيه بشفاء أحد المرضى بتأثير أحد الآثار المقدسة.

ولم تكن الأقطار الكاثوليكية تشغل نفسها بأي شيء غير شد الرحال إلى الأضرحة، وكان شد الرحال إلى الأرض المقدسة أهم الأعمال التي كان يقوم بها أتقى الأتقياء، وكانت المعبودات منتشرة في كل مكان

حتى أصغر القرى، وأبسط الأديرة، وعلاوة على هذه الكنوز المقدسة المحفوظة في الكنائس كانت هناك فئة من الناس الذين كانوا يحملون الآثار المقدسة معهم من صور، وعظام، ويتجولون بها من قرية إلى قرية، وكانت النساء تتهافت عليهم، فيلمسن بهذه الأشياء المقدسة قطعًا من القماش، أو المسابح لكي يكتسبن بها بركة القديسين نظير قروش قليلة إلى أن يقول: وكانت الآثار المقدسة متصفة بقوة هائلة حتى إن الناس كانوا يصنعون آثارًا مقدسة من كل شيء.

ففي عام ١٧٥٦ عثر سكان قرية بون دي شاتو بإقليم أوفرنسي بفرنسا على صندوق يحتوي على جثة طفل محنطة على الطريقة الشرقية، وكانت الجثة لا تزال محتفظة بنضارتها، وهيئتها الطبيعية، فاعتبروها معجزة، واعتبروها مقدسة، وحجوا إليها، وعبدوها

إلى أن صدر أمر من الحكومة بالاستيلاء عليها، ووضعها في أحد متاحف التاريخ الطبيعي بباريس.

وكان هذا الدين الخرافي المبني على عبادة التصاوير والمقاصير والأضرحة وغيرها من الآثار المقدسة متفشيًا في كل مكان، ولذلك كانوا يحرقون من يقصر في احترام تمثال من تماثيل القديسين، ويجلدون الذي لا يبجلون الآثار المقدسة تبجيلاً لائقًا.

وبعد .. فهذه هي المسيحية الموجودة الآن في عقائدها، وتصوراتها، وأفعال أهلها، لا نكاد نلمح في تضاعيفها آثارًا تربطها بأصلها الأول، بل هي ديانة جديدة من وضع قسطنطين اتخذت من المسيح محوراً تدور حوله جميع عناصرها الوثنية.

الغلو في الصالحين واتخاذ القبور مساجد

الغلو في المنسوبين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بني آدم وتركهم دينهم، بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديمًا وحديثًا، فبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لخالق الأرض والسموات، وتتعلق قلوبهم به سبحانه في جلب النفع، ودفع الضر وجدنا من يذبح، وينذر، ويستغيث، ويدعو، ويلتمس المدد والبركة: من الأولياء، والصالحين، والرهبان، والقديسين، وقد أخرجوا هذا الشرك، وأظهروه: في قالب المحبة، والتعظيم، هكذا صور لهم الشيطان، وهكذا زعموا.

وفي الصحيح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ

وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾ (نوح:٢٣)، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت.

قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم، وقد حذر سبحانه من الغلو فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (المائدة:٧٧)، والغلو كثير في النصارى، فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام، فجعلوه إلهًا، وناقضهم اليهود، فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغي.

قال ابن تيمية: «ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين بإفراط فيه، أو تفريط، وضاهاهم في ذلك فقد شابههم، كالخوارج المارقين عن الإسلام» اهـ.

فالغلو مذموم في الاعتقادات والأعمال، وفي الحديث: «إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[(١)].

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا، والمتنطعون: هم الغالون، وقد كان بناء المساجد والكنائس على القبور ذريعة للشركيات والكفريات، فبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لله توجهوا بها للمقبورين، وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتباع ما دعوا إليه: من العلم النافع، والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقتهم في إخلاص العبودية لله وحده، دون عبادتهم، وعبادة قبورهم.

وقد عاب رب العزة على أهل الجاهلية الذين برروا

---

(١) رواه أحمد والترمذي وهذا لفظ ابن ماجه.

شركهم بقولهم: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (الزمر:٣)، وبقولهم: ﴿ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ (يونس:١٨)، فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (الزمر:٤٤). فلا يخلق هو ويُعبد غيره، ولا يرزق هو ويُشكر سواه.

وفي الحديث: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]، يحذر ما صنعوا.

ولمسلم عن أبي الهياج قال: «قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»، فاحذر الشرك على نفسك، واعمل بالحنيفية السمحة، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد، والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل.

(١) متفق عليه.

قاعدة في المعجزات والكرامات [١]

الافتتان بالأمور الخارقة كثير عند النصارى، والاستدلال بها على صلاح من حدثت له من جهة وصرف العبادة له من دون الله، والغلو فيه من جهة أخرى من جملة الضلال الذي وقعوا فيه، فلابد للولي، والتقي الصالح من أن يكون مقتديًا في أقواله، وأفعاله بشرع الله.

وهذا هو المعيار الذي يُعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء يخالف هذا الضابط فهو رد عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي لله، أو قديس، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين، كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن، فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة،

---

(١) راجع كتابنا «الشهرة وعالم الأضواء».

فهو في الحقيقة مخاريق شيطانية، وتلبيسات إبليسية.

قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢١-٢٢٣).

ولذلك قال الليث بن سعد: إذا رأيت الرجل يمشي على الماء، فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السُّنَّة، فلما سمع ذلك الشافعي قال: «قصَّر والله الليث، بل لو رأيته يطير في الهواء، فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة»، فهذا هو الميزان الذي نفرق به بين الكرامة الرحمانية، والخارقة الشيطانية.

فالكرامة ضابطها الاستقامة، وهذه الاستقامة تستلزم العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا يتضمن الإيمان بالله، ونبذ الكفر، والفسوق، والعصيان، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرفها الأئمة المتقدمون كالإمام

أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها الآيات، لكن كثيرًا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة. اهـ.

والخارقة لا تدل على أن من حدثت له أفضل من لم تحدث له، كما لا يدل فقدها على نقص دين الإنسان ومرتبته عند الله، وعلى العكس والنقيض، فحدوثها لا يدل على صدق من ظهرت على يديه، ولا ولايته، ولا فضله على غيره لجواز سلبها، وأن تكون استدراجًا، ومكرًا، وعلى أي حال، فلا يجوز صرف العبادة لغير الله، سواء كان نبيًا، أو وليًا، وقلوب الخلق يجب أن تتعلق بالله وحده في جلب النفع، ودفع الضر، وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «قد كان في الأمم قبلكم مُحَدَّثون؛ فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم»[1]، وحديث: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله»[2].

---

(١) في الصحيحين.

(٢) أخرجه الترمذي وحسّنه.

ثم عمر رضي الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص كان يشاور الصحابة ويشاورونه، ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة، ويرجعون جميعًا إليهما، وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول: «**أقول فيها، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله منه بريء**».

وكان أبو سليمان الداراني يقول: «إنها لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة»، وقال أبو عثمان النيسابوري: «من أمر على نفسه الشريعة: قولاً، وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر على نفسه الهوى: قولاً، وفعلاً، نطق بالبدعة، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤).

بعض خوارق العادات للأنبياء وغيرهم

من أمثلة ذلك عصا موسى، وفلق البحر، والقُمَّل، والضفادع، والدم، وناقة صالح، وإبراء الأكمه، والأبرص، وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، وإخبارهم بما يأكلون، وما يدخرون في بيوتهم، وقد حدث من ذلك الكثير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وسنفرده بالبحث بإذن الله.

ومن أمثلة ما حدث لغير الأنبياء: قول عمر رضي الله عنه في قصة سارية، وهو على المنبر، ورؤيته لجيش سارية مع بُعد المسافة، فقال: «**يا سارية، الجبل**»، تحذيرًا له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل، فسمع ساريةُ قوله مع بُعد المسافة، لأن عمر بالمدينة، والجيش بنهاوند.

وكإخبار أبي بكر أن في بطن امرأته أنثى، وإخبار

عمـر عمن يخرج من ولده، فـيكون عادلاً، ومن ذلك قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف، وقصـة مريم، وقصـة خالد بن الوليـد، وسفـينة مولى رسول الله ﷺ الذي سـار معه الأسـد حتى دله على الطريق، ولم يلحقـه بأذى، وأبي مسـلم الخولاني الذي أنجـاه الله من النار، وفـعل به مـا فـعله بنبـيـه إبراهيم ﷺ ، وأشيـاء يطول شـرحها، فـإن تعداد هذا مـثل المطر، وإنما الغرض التـمثيل بالشيء الذي سـمعه أكـثر الناس.

التقدم المادي
ليس عنوانًا للتقى والهدى دائمًا [(١)]

إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، أما الآخرة فلا يعيطها إلا لمن أحب، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص: ٨٣).

وقد امتلك الدنيا مؤمنان، وكافران، أما المؤمنان: فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران: فالنمرود، وبختنصر، ويخطأ كثيرًا من يظن أن التقدم العلمي قرين الهداية والصلاح، فعلى قدر علو كعب العالم اليوم في العلوم المادية على قدر الانحطاط في العلوم الإنسانية، والدينية، قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

(١) راجع كتابنا «الديمقراطية في الميزان».

عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (الروم: ٧).

فالعلوم المادية لا تجلب الهداية بمفردها، بل هي أداة يجب أن تستخدم لتعميق روح الإيمان في نفوس العباد، وفتح العيون على قدرة الله في خلقه:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

والذين قصروا أنفسهم على محاربة ألوان الوثنية القديمة غير مدركين للشرك المتمثل في الشرود عن منهج الله، والسعي وراء الأفكار الضالة ـ مخطئون.

والذين يدركون خطر الجاهلية الجديدة، وينكرون، ويكابرون في وجود الجاهلية الموروثة، والتي تسري في دماء البشر، فتجعل القصد لغير الله مخطئون. ومن يعرف الدين الصحيح، ويعرف الأوضاع لا يماري في أن الباطل والكفر صورة تتكرر، فالوثنية الأولى ما زالت موجودة هنا وهناك في بلاد الزنوج، والإسكمو،

والملايين في أمـريكا وبريطانـيا مـا زالوا يجثـون على الركب أمام تمثـال العذراء، طالبين البركـة، وآلهة الهند بالألوف، والشيـوعيون يتـخذون من قبـر لينين: مطافًا ومـزارًا، وبالتالي فـالآلهـة الأولى كألوهيـة فرعـون، والنمرود، والأحبار، والرهبان ما هي إلا نماذج تتكرر، ولم تتـلاشى، فـهل أزال التـقـدم العلـمي مـثل هذا الضـلال؟، ولذلك كان لابد من التـركيـز على قضـايا التوحيـد، والاهتمام بها وترسـيخها في النفـوس، كما لابد أيضًـا من هدم الشـرك، ودحـض البـاطل في كل مظاهره، وصوره، وأشكاله، فالشـرك شيء واحد تتفق صوره في أنها قـصد لغير الله: في التـوجه، والطلب، والتـشريع، والتـعظيم، والتقـديس، وليكن هم المسلم محاربة الشرك والوثنية مهما كانت، وبأي لباس تحلت، فذلك الصراط المستقيم، قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢).

إن الحضارة الحقة، والتقدم، والتطور النافع، هو الذي يقوم على أساس منهج العبودية، بحيث لا يتخطى أهله شرع الله، ولا يشردون عن دين الله، وبهذا المنهج تحدث البصيرة، والعزة، والتمكين، والسيادة بالحق على الخلق، وبمقدار التخلف عن منهج الله يكون الضياع وسط الأمم، والانحدار إلى هوة الضلال، والعيش وسط النكبات، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤)، ولذلك لم نستغرب وصف كثير من علماء الغرب لحضارة اليوم بأنها حضارة القلق، وأن شأنهم كشأن أطفال يبنون قصورًا بالرمال، وهم يجهلون أعماق البحر.

علمناهم وتعلمنا منهم فلِمَ الانحراف بالقضية

يقول المستشرق الهولندي (دوزي): إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمي، بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوربا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس.

ويقول (ليدبول) في كتابه (العرب في أسبانيا): فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم، وراية الثقافة في العالم.

ويقول (لوبون) في كتابه (حضارة العرب): إن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجًا يسكنها (سِنَّوْرات) متوحشون، يفخرون أنهم لا يقرءون.

ويقول (فيكتور روبنصن) في موازنته بين الحضارة الإسلامية في الأندلس، وبين الحالة في أوربا: «كانت أوربا في ظلام حالك بعد غروب الشمس، بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة، كانت أوربا قذرة بينما شيَّدت (قرطبة) ألف حمام، كانت أوربا تغطيها الهوام، بينما كانت أهل قرطبة مثال النظافة، كانت أوربا غارقة في الوحل، بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع، كانت سقوف القصور في أوربا مملوءة بثقوب المداخن، بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة، وكان أشراف أوربا لا يستطيعون توقيع أسمائهم، بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس، وكان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة، بينما كان معلموا قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة».

فعن طريق الأندلس، وصقلية، ومدارس الترجمة

التي انتشرت في شمال أسبانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وعن طريق التجار المسلمين، والحروب الصليبية انتقلت الحضارة الإسلامية إلى الغرب تنتشل الأوربيين من الجهل إلى العلم، وهذا واقع وهو حق.

ومن الإنصاف أيضًا أن نثبت الفضل لأهله، فالكل يلمس هذا التطور المادي في نواحي كثيرة من الحياة، وانقسمت الدنيا على أساس ذلك إلى: عالم متقدم، وآخر متخلف، يُطلق عليه اسم العالم الثالث أو تجاوزًا (العالم النامي)، الأمر الذي أدى بنا أن نتعلم منهم الكثير: من فنون الزراعة، والصناعة، والهندسة، والطب، وهذا الأمر لا حرج فيه، فهذه العلوم تؤخذ من كل من أفلح فيها، ولكن الحرج كل الحرج في الانبهار والفتنة بالغرب، وتصحيح ما هم عليه من دين باطل، فهم يعانون من إفلاس فيما يتعلق بالهداية، وعلوم الدين، وبالتالي فلا تجوز الانهزامية في

مواجـهتهـم، إذ الواجب علينا أن نعتـز بمعاني الإيمان، ونظهر شعـائر الدين، ونأخذ بأسباب الـقوة، وندعوهم لإسلام الوجه لخـالق السموات والأرض، حتى ينتـفعوا بما هم عليـه من الحياة، وبعـد الممات، ولا يتـصور أن يكون شيء من أمور الكفـرة كاملاً قط حتى مـا يتعلق بإتقان أمور الدنيا.

ولذلك يقول ابن تيمـية في كتابه (اقتـضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم): «أن نفس ما هم عليه من الـهدى والخلق قد يكون مـضرًا، أو منقـصًا، فينـهى عنه ويؤمر بضـده لما فيه مـن المنفعة والـكمال، وليس شيء من أمـورهم إلا فـيـه الـزيادة، أو النقص فمخالفتهم فيه. بأن يشرع ما يجعله على وجه الكمال، ولا يتصور أن يكون شيء من أمـورهم كاملاً قط، فإذا المخالفـة لهم فيـها منفـعة وصلاح لنا فـي كل أمورنا، حتى ما هم عليه من إتقان أمـور دنياهم قد يكون مضرًا

بآخرتنا، أو بما هو أهم منه من أمر دنيانا، فالمخالفة فيه صلاح لنا...

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: وحقيقة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأموره، لابد فيها من خلل يمنعها أن تتم له منفعة بها، ولو رص صلاح شيء من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة، ولكن كل أموره: إما فاسدة، وإما ناقصة، فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم، وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى» اهـ.

إن القضية أكبر من الانشغال بإثبات تعليمنا لهم، أو تعلمنا منهم، إن الاهتمام الأعظم، والانشغال الأكبر ينبغي أن ينصب في دلالتهم على طريق الحق، والعودة بهم إلى توحيد الله جلَّ وعلا.

بيان مذهب أهل الضلال الذين أنكروا النبوات (١)

يقول ابن القيم - رحمه الله - :

فالرسول صلوات الله وسلامه عليه، إنما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، والتعريف بحقوقه على عباده، فمن أنكر رسالاته، فقد أنكر الرب الذي دعا إليه، وحقوقه التي أمر بها؛ بل نقول لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هي عليه مع تكذيب رسوله ﷺ، وهذا ظاهر جداً لمن تأمل مقالات أهل الأرض، وأديانهم.

فإن «الفلاسفة» لم يمكنهم الاعتراف بالملائكة،

---

(١) «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» لابن القيم (ص٣٤١) تحقيق أحمد سالم المصري.

والجن، والمبدأ، والمعاد وتفاصيلهما، وتفاصيل صفات الرب تعالى، وأفعاله مع إنكار النبوات؛ بل والحقائق المشاهدة، التي لا يمكن إنكارها، لم يثبتوها على ما هي عليه، ولا أثبتوا حقيقة واحدة على ما هي عليه البتة، وهذا ثمرة إنكارهم النبوات، فسلبهم الله إدراك الحقائق التي زعموا أن عقولهم كافية في إدراكها، فلم يُدركوا منها شيئًا على ما هو عليه، حتى ولا الماء، ولا الهواء، ولا الشمس، ولا غيرها.

فمن تأمل مذاهبهم فيها علم أنهم لم يدركوها، وإن عرفوا من ذلك بعض ما خفي على غيرهم.

وأما «المجوس» فأضلّ، وأضلّ.

وأما «عباد الأصنام» فلا عرفوا الخالق، ولا عرفوا حقيقة المخلوقات، ولا ميّزوا بين الشياطين، والملائكة، ولا بين الأرواح الطيبة، والخبيثة، وبين أحسن الحسن،

وأقبح القبيح، ولا عرفوا كمال النفس، وما تسعد به، ونقصها، وما تشقى به.

وأما «النصارى» فقد عرفت ما الذي أدركوه من معبودهم، وما وصفوه به، وما الذي قالوه في نبيهم، وكيف لم يُدركوا حقيقته البتة، ووصفوا الله بما هو من أعظم العيوب والنقائص، ووصفوا عبده ورسوله، بما ليس له بوجه من الوجوه.

ولا عرفوا الله، ولا رسوله، والمعاد الذي أقروا به لم يدركوا حقيقته، ولم يؤمنوا بما جاءت به الرسل من حقيقته؛ إذْ لا أكل عندهم في الجنة، ولا شرب، ولا زوجة هناك، ولا حور عين، يلذ بهن الرجال، كلذاتهم في الدنيا، ولا عرفوا حقيقة أنفسهم، وما تسعد به، وتشقى، ومن لم يعرف ذلك، فهو أجدر أن لا يعرف حقيقة شيء كما ينبغي البتة، فلا لأنفسهم عرفوا، ولا لفاطرها، وبارئها، ولا لمن جعله إليه سببًا في فلاحها،

وسعادتها، ولا للموجودات، وأنها جميعها فقيرة، مربوبة، مصنوعة، ناطقها، وصامتها، آدميها، وجنيّها، وملكها، فكل من في السماوات والأرض عبده، وملكه، وهو مخلوق، مصنوع، مربوب، فقير، من كل وجه، ومن لم يعرف هذا، لم يعرف شيئًا.

وأما «اليهود» فقد حكى الله لك عن جهل أسلافهم، وغباوتهم، وضلالهم، ما يدل على ما وراءه من ظلمات الجهل، التي بعضها فوق بعض، ويكفي في ذلك عبادتهم العجل، الذي صنعته أيديهم من ذهب، ومن غباوتهم وبلادتهم أن جعلوه على صورة أبلد الحيوان، وأقله فطانة، الذي يُضرب المثل به في قلة الفهم.

فانظر إلى هذه الجهالة، والغباوة المجاوزة للحد، كيف عبدوا مع الله إلهًا آخر، وقد شاهدوا من أدلة التوحيد، وعظمة الرب، وجلاله، ما يُشاهده سواهم؟!.

وإذ قد عزموا أن اتخاذ إله دون الله، فاتخذوه

ونبيهم حي بين أظهرهم، ولم ينتظروا موته!، وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الملائكة المقربين، ولا من الأحياء الناطقين، بل اتخذوه من الجمادات!.

وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر العلوية كالشمس، والقمر، والنجوم، بل هو من الجواهر الأرضية!، وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه من الجواهر، التي خُلقت فوق الأرض عالية عليها كالجبال، ونحوها، بل من جواهر لا تكون إلاّ تحت الأرض، والصخور، والأحجار، عالية عليها!.

وإذ قد فعلوا فلم يتخذوه جوهر، يستغني عن الصنعة، وإدخاله النار، وتقليبه وجوهًا مختلفة، وضربه بالحديد وسبكه بل من جوهر يحتاج إلى نيل الأيدي له بضروب مختلفة، وإدخاله النار، وإحراقه، واستخراج خبثه!.

وإذ قد فعلوا، فلم يصوغوه على تمثال مَلَك كريم،

ولا نبي مرسل، ولا على تمثال جوهر علوي، لا تناله الأيدي، بل على تمثال حيوان أرضي!.

وإذ قد فعلوا فلم يصوغوه على تمثال أشرف الحيوانات، وأقواها، وأشدها، امتناعًا من الضيم، كالأسد، والفيل، ونحوهما، بل صاغوه على تمثال أبلد الحيوان، وأقبله للضيم، والذل، بحيث تُحرث عليه الأرض، ويُسقى عليه بالسواقي، والدواليب، ولا له قوة يمتنع بها، من كبير ولا صغير.

فأي معرفة لهؤلاء بمعبودهم، ونبيهم، وحقائق الموجودات؟ وحقيق بمن سأل نبيه أن يجعل له إلهًا، فيعبد أصنامًا إلهًا مجعولاً بعد ما شاهد تلك الآيات الباهرات، أن لا يعرف حقيقة الإله ، ولا أسماءه، ولا صفاته، ونعوته، ودينه، ولا يعرف حقيقة المخلوق، وحاجته، وفقره.

ولو عرف هؤلاء معبودهم، ورسوله؛ لما قالوا لنبيهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: ٥٥)، ولا قالوا له: ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ (المائدة ٢٤)، ولا قتلوا نفسًا، وطرحوا المقتول على أبواب البرآء من قتله، ونبيهم حيّ بين أظهرهم، وخبر السماء، والوحي يأتيه صباحًا ومساءًا، فكأنهم جوزوا أن يخفى هذا على الله، كما يخفى على الناس؟!.

ولو عرفوا معبودهم، لما قالوا في بعض مخاطباتهم له: «يا أبانا انتبه من رقدتك، لا تنام».

ولو عرفوه لما سارعوا إلى محاربة أنبيائه، وقتلهم، وحبسهم، ونفيهم، ولما تحيلوا على تحليل محارمه، وإسقاط فرائضه بأنواع الحيل، ولقد شهدت التوراة بعدم فطانتهم، وأنهم من الأغبياء، ولو عرفوه لما حجروا عليه بعقولهم الفاسدة، أن يأمر بالشيء في وقت لمصلحة، ثم يزيل الأمر به في وقت آخر، لحصول

المصلحة، ويبدله بما هو خير منه، وينهى عنه، ثم يبيحه في وقت آخر؛ لاختلاف الأوقات، والأحوال في المصالح والمفاسد.

كما هو مُشاهد في أحكامه القدرية الكونية، التي لا يتم نظام العالم، ولا مصلحته إلا بتبدلها، واختلافها، بحسب الأحوال والأوقات، والأماكن، فلو اعتمد طبيب أن لا يُغير الأدوية، والأغذية، بحسب اختلاف الزمان، والأماكن، والأحوال، لأهلك الحرث والنسل، وعُدّ من الجهال، فكيف يحجر على طبيب القلوب، والأديان أن تتبدل أحكامه، بحسب اختلاف المصالح، وهل ذلك إلا قدح في حكمته، ورحمته، وقدرته، وملكه التام، وتدبيره لخلقه...».

فهرس